رسالة المسترشدين

للحارث المحاسبي

أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري

توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

رحمه الله تعالى

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد الفتاح أبو غدة

يطبع لأول مرة عن نسختين مخطوطتين

الناشر

مكتب المطبوعات الإسلامية

حلب - الفرافرة - جمعية التعليم الشرعي ☎ ٢١٥٦٦

ق ف
١٢٦ هـ

614

Marfat.com

رسالة المسترشدين

للحارث المحاسبي

أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري

توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

رحمه الله تعالى

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد الفتاح أبو غدة

يطبع لأول مرة عن نسختين مخطوطتين

الناشر

مكتب المطبوعات الإسلامية

حلب ـ الفرافرة ـ جمعية التعليم الشرعي ☎ ٢١٥٦٦

Marfat.com

53305

حقوق الطبع محفوظة للناشر
١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م

Marfat.com

الإهداء

إلى الرُّوح الفتيَّة الزكيَّة ، التي توجَّهَتْ إلى الله بقلبها وقالبها ، في مقتَبَل العُمر وصَخَبِ المُغرِيات ، فاتخَّذتْ طريقها إلى الله حُبّاً ورُغْبى ، وعَمِلتْ لآخرتها زاداً وقُرْبى ، فأدركها الأجَل في أطيب العَمَل ، فكان لها عند الله أطيبُ جوار وخيرُ قرار إن شاء الله ، إلى رُوح ابنِ أخي :

عبد الهادي أبو غدة

رحمه الله تعالى

Marfat.com

Marfat.com

التقدمة

و

ترجمة المؤلف

Marfat.com

Marfat.com

٦١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وليّ كل خيرٍ وهداية ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي إلى أفضل طريقٍ وغاية ، ورضي الله عن أصحابه مصابيح الهدى والدين ، وتابعيهم السالكين نهجهم القويم باحسان .

أما بعد : فمن أشدّ ما يحتاجه الناسُ في هذا العصر : العنايةُ بالروح ، والفهمُ للدين ، والعملُ به ، وقد تهيَّأ هذا للسَّلفِ الصالح على الوجه الأوفى ، فطاب مجتمعُهم ، وصَلَح سُلوكهم ، وكثر خيرُهم وقلّ شرُّهم ، وكسبوا لأنفسهم في دنياهم وأخراهم خيرا .

وقد ترك أولئك السَّلفُ الصالحون آثارَ خيرٍ وعلمٍ تُرشد التائهين ، وتَرُدُّهم إلى الجادَّة إذا ضلُّوا الطريق ، فألَّفوا الكتب والرسائل في فضائل الأعمال وتزكيتها ، وفي إصلاح النفس وتنقيتها ، ترغيباً وترهيباً ، حتى قيل فيهم لكثرة ما قاموا به من تأليف وتصنيف ، وتحذيرٍ وتعريف : « ما ترك الأوَّلُ للآخِر » .

ومِن أطيبِ ما تَرَكَ الأوَّلُ للآخِر آثارُ الامام الشيخ أبي عبدالله الحارث بن أسَد المحاسِبي الزاهد ، الواعظ الفقيه ، المحدث المتكلم ، الناصح الأمين ، الداعي إلى الله بقلبه وقالبه ، ولسانه وقلمه .

ولقد أوتي أبو عبدالله إخلاصاً ناصعاً ، وقلباً مُشرِقاً ، وبياناً ناطقاً ،

Marfat.com

مـع التقوى والخوف من الله تعالى . وهاتانِ الكلمتانِ جزْلتانِ في النطق والسمـع ، ولكنهما كانتـا في قلب أبي عبد الله أوسـعَ من الدنيا وأيقظَ من الحيـاة ، وقد فرغ قلبُ أبي عبد الله من الدنيـا فراغَ من أيقن أن ليس بينه وبين القبر إلا ساعة ، فلذلك قام يُذكّرُ الناسَ بلسانه وبيانه ، كأنه يَرى الجنة ونعيمَهـا ، والنارَ وجحيمها ، حتى كان كما قال مالك بنُ دينار رحمه الله تعالى : « لو وجدتُ أعواناً لفرّقتُهم ينادون في سـائرِ الدنيا كلها : يا أيها الناس النارَ ! النارَ ! » .

وقد سلك أبو عبد الله — أجزل الله مَثُوبتَه — في بعض كتبه مسلك الاطناب والاسهاب حتى لم يدع زيادةً لمستزيد ، وسلك في بعضها مسلك الجزالة والايجاز ، مكتفياً بقصير الكلام عن طويله ، وبقليله عن كثيره ، اعتماداً منه على توجُّهِ نفْس المسترشدِ المستوصف ، المستهدي المتلهّف .

فألّف هذه الرسالة التي سمّاها : « رسالة المسترشدين » ، وأودعها عليَ النُّصح ، وأطيبَ الارشاد ، وأوفى الموعظة ، وأجلى التنبيه والايقاظ ، وأخلصَ القولِ والبيانِ والتوجيه ، في جُمَلٍ مكنوزةٍ بالعلم والمعـــاني ، تُفهَم سريعاً ، وتُقرأ سريعاً ، ولكن لا يستفيدُ منها قارئها تمامَ الفائدة إلا إذا قرأها في أناةٍ وتدبُّرٍ تام ، جملةً جملة ، كالذي يكرّرُ الشيء ويتأنّى به ليحفظه ويستظهره .

هذه الرسالة كانت «مخطوطة» عندي ، تيسّرَ لي اقتناؤها من سنوات بعيدة ، فلما قرأتها من قريب رأيتُها حاويةً جامعة ، وافيةً بارشاد السالك للخيرِ والباحثِ عنه . فألزمتُ نفسي نشرَها ، وإخراجَها للناس ، إشاعةً للنفـع بها والاستفادةِ من إخلاص مؤلّفِيها وصلاحه ، وبالغِ وَرَعه وعلمه ، وصِدقَ تذكيرهِ بالله تعالى ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

والمخطوطةُ التي عندي منها واضحةُ الخطّ ، بيّنةُ الكلمات ، يندُرُ

Marfat.com

فيها الغلطُ جداً ، وعليها آثارُ المقابلة والتصحيح في غير موطن ، تبلغ صفحاتها ٣٣ صفحة من القطع الصغير ، ولا تاريخ لكتابتها ، وقد كُتِبتْ في زمنٍ متأخر ، أقدّر أنها كُتِبت بعد الألف من الهجرة ، ولم يُذكرَ اسمُ كاتبها في آخرها ، إلا أنه جاء في الصفحة الثالثة منها بخطٍ منقوطٍ برأس القلم نُقَطاً صغيرةً متتابعة ، تألّف منها الجملةُ التالية : « كتبها أحمد ابن الحاج إسماعيل » .

وعلمتُ أنّ في « معهد المخطوطات العربية » بالقاهرة نسخةً مخطوطة من هذه الرسالة ، مصوَّرة عن نسخةٍ في مكتبة البلدية في الاسكندرية ورقمها فيها : (٣٠٢٤ / ١٣ ج) ، فصوّرتُها ، فاذا هي نسخةٌ مغربية الخط ، تقع في ١٤ صفحة من القطع الصغير الناعم الكلمات المتراصّة ، مضبوطةٌ بالشكل في كثير من كلماتها ، غير أنها كنسختي لا تاريخَ عليها لكتابتها ، ولاذِكرَ لاسم كاتبها أيضاً ، وقد جاء في « فهرس المخطوطات المصوَّرة » لمعهد إحياء المخطوطات العربية (١٦٤/١) : أنها « كتبت في القرن الثاني عشر » .

فقابلتُ بينها وبين نسختي بمعاونة ابن أخي الشابّ الناهض المجدّ النابه الشيخ عبد الستار أبو غدة ، أدام الله عليه توفيقه وزاده في العلم بسطة وقوة . واستفدتُ منها كثيراً في استكمال بعض الجُمَل وتصويبها ، وأشرتُ في بعض الأحيان إلى المخالفات الواقعة بين النسختين في الحاشية ، وهذه النسخة عند الاشارة إليها أسمّيها : النسخة المغربية . كما أسمّي نسختي : الأصل . وإذا اتفقنا قلتُ : في الأصلين .

واستكمالاً للافادة منها علّقتُ عليها بإيجازٍ ما يزيدها بياناً ونفعاً ، ووضوحاً وفهماً ، وخرّجتُ أحاديثَها والآياتِ المذكورةَ فيها ، وترجمتُ للمؤلّف ترجمةً مستوفاة ، تُعرّفُ بمكانة الامام المحاسبي الذي غُمِط حقّه من التعريف عند طَبْع كتابيه : « التوهم » و « الرعاية » ، وقدّمتُها بالاهداء إلى رُوح ابن أخي الشابّ النقي عبد الهادي أبو غدة الذي أدركه

Marfat.com

أجلُه في ريعان شبابه وما تمّ له عشرون ربيعا.

اللهم عوّضْهُ من شبابهِ في الجنة ، واختم لنا وله بالحسنى وزيادة ، وتقبّلْ عملي هذا ، واجعله خالصاً لوجهك ، محفوظاً عندك ، أنتفعُ به يومَ القدوم عليك ، يومَ لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم.

حلب ١ / من جمادى الأولى سنة ١٣٨٤ وكتبه

عبد الفتاح أبو غدة

خادم العلم بمدينة حلب

وفقه الله

Marfat.com

ترجمة المؤلف

هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحُاسِبي ، البصري المولد ، البغدادي المنزل والوفاة ، الامام العارف الناطق بالحكمة ، عديم النظير في زمانه ورعاً وعلماً ومعاملةً وحالا ، أحدُ الزهاد المتكلّمين في العبادة والزهد والمواعظ . وعُرِف بالمحُاسِبي لكثرة مُحاستبه لنفسه ، ولم يُعرَف تاريخُ ولادته ، وكانت وفاته ببغداد سنة ٢٤٣ رحمه الله تعالى .

رَوَى الحديث عن يزيد بن هارون وطبقته ، ورَوَى عنه أبو العباس بن مسروق ، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ، والشيخ الامام الجُنَيد ، وله معه حكايات مشهورة ، وإسماعيل بن إسحاق السراج ، وأبو علي الحسين بن خَيْران ، وأحمد بن القاسم بن نصر ، وأحمد بن عبدالله ابن ميمون وغيرُهم .

كان رحمه الله تعالى ناسكاً عابداً ، وصوفياً زاهداً ، وفقيهاً ومتكلّماً ، وواعظاً مُبكياً ، ومحدّثاً راوياً ، أوتي فصاحة لسان ، وبراعةَ بيان ، ونصاعةَ جنان ، حتى إذا حدّثك عن الشيء ترغيباً أو ترهيباً جَعَلك كأنك تراه رأيَ العين ، وتُحسّ به إحساسَ المباشِر له ، ولا يَنْفَصِمُ عنك حديثُه إلا وقد أقنعك بالحُجّة ، وألبسك اليقينَ بما يقول ، وما يقول أبو عبدالله إلا خيراً ونُصحاً .

تَشهدُهُ فيما يكتبُ مستوفياً الخطرات والخلجات ، وقائماً بالنّذارة قيامَ صدقٍ ويقينٍ ومشاهدة ، وكثيراً ما أبكاك فيما ناجاك ، يتبدّى لك

Marfat.com

إشفاقُه عليك من النارِ وأهوالِها ، فيما يُوليك من نُصْح ويُخلِصُك من موعظة . وربما يُطيل إليك النَّفَسَ في الاقناع بما يدعوك إلى فعله أو تركه إطالةَ الأب الرحيم الخائفِ الوَجِل على ولده مِن شديدِ العذاب(١) .

ولقد كان أبو عبد الله ـ رحمه الله ـ يستنفد كلّ وقته في الخير إما تذكيراً وإما تأليفاً ، وإما عبادةً بين يدي الله عزّ وجل ، حتى لا يفوت نَفَسٌ من أنفاسه إلا وقد أدّى وظيفته من الخير والطاعة التي يرجو ثوابها عند الله تعالى .

ولذلك كَثُرَتْ تصانيفُه وكتبه ، نقل الشيخ تاج الدين ابن السُّبْكي في ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرى » : (٢/٣٧) عن بعضهم « أنها تبلغ مائتي مصنَّف » . وأغلبُها في الزهد والسلوك والتصوف ، وكثيرٌ منها في أصول الدين والردّ على المعتزلة والرافضة والقدرية وغيرهم من المخالفين، وبعضُها في الفقه والأحكام . وكتبُه ـ على كثرتها ـ كثيرة الفوائد جمّةُ المنافع ، وخاصةً كتبه في علوم التصوفِ وتزكيةِ النفس والروح تُعدُّ أصولاً لكلّ مَنْ صنَّف فيها بعده حتى الامام أبي حامدِ الغزالي رضي الله عنه .

قال شيخنا الامام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى : لقد كان أثرُ الامام المحاسبي على الامام الغزالي كبيراً ، لقد تبطَّنَ الغزاليُّ كتابَ « الرعاية » في كتابه : « الاحياء » .

وقال العلامة المُناوي في ترجمة المحاسبي في « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » : (١/٢١٨) : « قال التميمي : هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام . وقال غيره : له المصنَّفات النافعة

---

(١) تجد مصداق هذا في كتابيه : « الرعاية » و « التوهم » ، فعليك بقراءتهما ليلين قلبك وتدمع عينك ، وتدرك من أحوال نفسك وآخرتك ما لم تكن تعلم .

Marfat.com

الجمَّة بحيث تبلغ نحو مائتي مؤلَّف ، وناهيك بكتابه : « الرعاية » ، وكتبُه في هذه العلوم أصولٌ لمن صنَّف فيها . قال في « الاحياء » : المحاسبيُّ خيرُ الأمَّة في علم المعاملة ، وله السَّبقُ على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات ، وكلامُه جديرٌ بأن يُحكى على وجهه » .

وكان له في تدوين علمه وإنشاء تآليفه طريقةٌ غريبة حكاها الحافظ أبو نُعَيم في ترجمته في « الحلية » : (١٠/٧٤) فقال : « قال الجُنَيد : كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول : اخرجْ معنا نُصْحِر ـ أي إلى الصحراء ـ فأقول له : تُخرجني من عُزْلتي وأمْني على نفسي إلى الطرقاتِ والآفات ورؤيةِ الشهوات ؟! . فيقول : اخرُجْ معي ولا خوف عليك ، فأخرج معه فكأنَّ الطريق فارغ من كل شيء ؟ لا نرى شيئاً نكرهه ، فاذا حَصَلتُ في المكان الذي يَجلسُ فيه قال لي : سَلْني ، فأقول له : ما عندي سؤال أسألك ، فيقول لي : سَلْني عما يقع في نفسِك ، فتنثال عليَّ السؤالات فأسأله عنها ، فيجيبني عنها للوقت ، ثم يمضي إلى منزله فيَعْمَلُها كتباً » .

نهض الشيخ المحاسبي في تدوين أحوال النفس وتزكيتها وبيانِ عيوبها في وقتٍ مبكّر : في ختام النقرن الثاني وأوائل القرن الثالث للهجرة ، وكان هذا العهد يزخر بالاشتغال بالحديث روايةً وحفظاً وكتابةً وارتحالاً في طلبه وتحصيله . وكان لأولئك المحدثين والرواة نظرةٌ ناقدة لكلِّ مَنْ تحوَّل عن طريقتهم وسلك مسلكاً آخر في العلم فقيهاً كان أو مذكِّراً أو متكلِّماً .

ولهذا لقي الشيخُ أبو عبدالله المحاسبي انتقاداً شديداً من معاصريه الرواة والمحدثين ، الذين يَرَوْن العلمَ كلَّ العلم روايةَ الحديث سنداً ومتناً لا بحثاً وفقهاً ، ويَرون إعمالَ الرأي في فهم الأثر خروجاً عليه ، فاذا بلَغهم

Marfat.com

عن عالمٍ أنه تكلّم في مسئلة باحثاً مجتهداً ، أو متكلّمٍ قال في صفة من صفات الله قولاً ، أو مذكّرٍ تحدّث عن حال النفس كاشفاً منقّباً : ثارَتْ لذلك حفيظتُهم ، ونقموا عليه ما صَنع ، وقالوا فيه ما يرونه مُلاقياً للجارح الذي اتّصَف به في نظرهم(١) ، وفي كتب الجرح والتعديل وقائعُ غيرُ قليلة من هذا النمط .

ولذا قال الحافظ الذهبي في ترجمة المحاسبي في « ميزان الاعتدال » : (١/١٩٩ - ٢٠٠) : « والمحاسبيُّ العارفُ صاحبُ التواليف : صدوقٌ في نفسه ، وقد نقموا عليه بعضَ تصوُّفه وتصانيفِه ».

فلا غرابة أن نجد الحافظ أبا زُرعةَ الرازيَّ رحمه الله تعالى ينتقدُ الشيخَ المحاسبيَّ وكتبَهُ وطريقتَهُ أشدَّ انتقاد ، تمشياً منه مع بيئته الحديثيَّة التي يحياها وتموُجُ من حولِه موجا ، رَوَى الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » : (٨/٢١٥) بسنده إلى سعيد بن عمرو البَرْذَعي قال : « شهدتُ أبا زُرْعة - وقد سُئِل عن الحارث المحاسبي وكتبه - فقال للسائل : إياك وهذه الكتب ! هذه كتبُ بدعٍ وضلالات !! عليك بالأثر ، فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب .

قيل له : في هذه الكتب عبرة ، قال : من لم يكن له في كتاب الله عبرةٌ فليس له في هذه الكتب عبرة ، بلغكم أنّ مالك ابن أنس ، وسفيان الثوريَّ ، والأوزاعي ، والأئمة المتقدّمين : صنّفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء ؟! هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم ، يأتونا مرةً بالحارث المحاسبي ، ومرةً بعبد الرحيم الدَّيبُلي ، ومرةً بحاتمٍ الأصم ، ومرةً بشقيق ! ثم قال : ما أسرَعَ الناسَ إلى البدع ؟! ».

ويُعلّلُ الحافظ ابن رجب الحنبلي نَهْيَ أبي زرعة وأحمد وغيرهما عن مسلك الحارث المحاسبي تعليلاً آخر غير الذي أسلفتُهُ فيقول رحمه الله تعالى في كتابه : « جامع العلوم والحكم » : (ص ٢٢٣) عند حديث « استفت

(١) في « معجم الأدباء » لياقوت في ترجمة الامام الشافعي (١٧/٢٩٩) : « عن مصعب الزبيري قال : كان أبي والشافعي يتناشدان ، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً ، وقال : لا تعلم بهذا أحداً من أهل الحديث فانهم لا يحتملون هذا » .

Marfat.com

قلبك وإن أفتاك المفتون » : « وإنما ذمَّ أحمدُ وغـــيرُه المتكلّمين على الوساوس والخطرات من الصوفية حيث كان كلامُهم في ذلك لا يَستندُ إلى دليل شرعي ،بل إلى مجرَّد رأيٍ وذوق ، كما كان يُنكِرُ الكلامَ في مسائل الحلال والحرام بمجرَّد الرأي من غير دليل شرعي » .

وروى الخطيب أيضاً (٨ / ٢١٤) بسنده إلى إسماعيل بن إسحاق السرَّاج قال : « قال لي أحمد بن حنبل يوماً : يبلغني أن الحـارث ـ يعني المحاسبي ـ يُكثر الكونَ عندك ، فـلو أحضرته منزلك ، وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه ؟ فقلتُ : السمعُ والطاعة لك يا أبا عبدالله ، وسرَّني هذا الابتداءُ من أبي عبد الله ، فقصدتُ الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة ، فقلتُ : وتسألُ أصحابك أن يحضروا معك ، فقـال : يا إسماعيل فيهم كثرة ، فـلا تزدهم على الكُسْب ـ عُصارة الدُّهن ـ والتمر ، وأكثر منها ما استطعت ، ففعلتُ ما أمرَني به .

وانصرفتُ إلى أبي عبد الله فأخبرته ، فحضر بعد المغرب ، وصَعِدَ غرفة في الدار ، فاجتهد في وِرْدِه إلى أن فرغ ، وحَضَر الحارثُ وأصحابُه فأكلوا ، ثم قاموا لصلاة العتمة — العشاء — ولم يصلوا بعدها ، وقعدوا بين يدي الحـارث وهم سكوتٌ لا ينطـق واحد منهـم إلى قريبٍ من نصف الليل ، فابتدأ واحدٌ منهم وسأل الحارثَ عن مسئلة ، فأخذَ في الكلام ، وأصحابُهُ يستمعون كأنَّ على رؤوسهم الطير ، فمنهم من يبكي ، ومنهم من يزعق ، وهو في كلامه .

فصعدتُ الغرفـة لأتعرَّف حالَ أبي عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ فوجدتُه قد بكى حتى غُشِيَ عليه ، فانصرفتُ إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا ، فقاموا وتفرقوا ، فصعدت إلى أبي عبدالله وهو متغيِّرُ الحال ،

Marfat.com

فقلتُ : كيف رأيتَ هؤلاء يا أبا عبد الله ؟ فقال : ما أعلم أني رأيتُ مثلَ هؤلاء القوم ، ولا سمعتُ في علم الحقائق مثلَ كلام هذا الرجل ، وعلى ما وقفتُ من أحوالهم فاني لا أرى لك صحبتهَم ، ثم قام وخرج » .

قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي في « طبقات الشافعية »:(٢/٤٠) والحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » : (٢/١٣٦) : « إنما نهاه أحمد عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم ، فانهم في مقامٍ ضيق لا يسلكه كل أحد ، ويُخاف على من يسلكه أن لا يوفيه حقَّه » . كذا قالا ، وقد تابَعَ ثانيهما الأوَّل .

ويقول الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » في ترجمة الامام أحمد (١٠/٣٣٠) بعد أن ذكر هذه الحكاية : « قال البيهقي » : يُحتمل أن أحمد كره له صحبتهم لأن الحارث بن أسد وإن كان زاهداً فانه كان عنده شيء من علم الكلام ، وكان أحمد يكره ذلك . أو كره صحبتهم من أجل أنه لا يطيق سلوك طريقتهم وما هم عليه من الزهد والورع .

قلت ـ القائلُ ابنُ كثير ـ : بل إنما كره ذلك لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي لم يرد بها الشرع ، والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة : ما لم يأت بها أمر . ولهذا لمَّا وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بـ « الرعاية » قال : هذا بدعة . ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب : عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ، ودَعْ عنك هذا فانه بدعة » انتهى .

قلتُ : والذي أراه أنّ الامام أحمد رحمه الله تعالى إنما نهاه عن صحبتهم ـ مع أنه رآهم على خير ـ لأنه يَرى سُلوكَ طريقته التي هو عليها وأصحابُهُ أمثَلَ خيراً وأوفى هداية وحقّاً .

Marfat.com

هذا على فَرْضِ صحة هذه الحكاية ووقوعِها ، إذ قد جاء فيها ما يُدغدِغُ النفسَ شكاً في حُدوثِها ، ولهذا قال الحافظُ الذهبي رحمةُ الله عليه في « الميزان » بعد أن أوردها : « وهذه حكاية صحيحة السَّند ، منكرةٌ ، لا تقعُ على قلبي ، أستبعِدُ وقوعَ هذا مِن مثلِ أحمد » .

وعلى كل حال صحَّت الحكايةُ أولم تصحّ : إنها تُصوّرُ الروح التي تَسُودُ نفوس أئمة ذلك العصر على مَنْ سلك مَسْلَكَ المحاسبي رحمه الله تعالى وإيانا .

• • •

قال الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في « تاريخ بغداد » : (٢١٤/٨) : « وكان أحمد بن حنبل يكره للحارث نظرَهُ في (الكلام) وتصانيفَه الكتبَ فيه ، ويَصُدُّ الناسَ عنه » .

قلتُ : كان المحاسبيُّ رحمه الله تعالى يَنهضُ بدعوة الناس إلى الجادّة من طريق تزكيةِ النفس وإصلاحِها ، ولمّا وَجَدَ الشذوذَ قد اشرأبَّ إليهم من طريق العقيدةِ والكلامِ : هبَّ يُصحِّحُها لهم ويَنْقُدُ زَيْفَ ما هم عليه فيها ، لعلهم يرجعون إلى الحق ؟ وكان الامام أحمد رحمه الله تعالى يخاف من سلوك هذه السبيل أن تبتعد بسالكيها عن الجادّةِ التي هو عليها ، فتجفو بهم عن الحقّ ، وتتردّى بهم في الباطل ، فكان ينكر على المحاسبي صنيعَه هذا ، راجياً أن يكون له أجرانِ عندالله تعالى . وكان المحاسبي يرجو لنفسه أجرين عند الله تعالى فيما يَنهضُ به أيضاً ، ولكلٍّ وجهةٌ هو موليّيها .

قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي رحمه الله تعالى في « طبقات الشافعية » : (٣٩/٢) : « اعلم أن الامام أحمد رضي الله عنه كان شديدَ النكير على من يتكلم في علم الكلام ، خوفاً أن يَجُرَّ ذلك إلى ما

Marfat.com

لا ينبغي ، ولا شك أن السكوت عنه ما لم تَدْعُ إليه الحاجةُ أولى . والكلامُ فيه عند فَقْدِ الحاجة بدعة (١) ، وكان الحارث المحاسبي قد تكلَّم في شيء من مسائل الكلام. قال أبو القاسم النصرابادي : بلغني أن أحمد بن حنبل هجره بهذا السبب » .

قلتُ : وهذا قد يقع بين العلماء في كلّ عصرٍ ومصرٍ ، اجتهاداً منهم في تصحيح ما يراه أحدُهم خطأً مِن صاحبه ، وله بذلك أجر أو أجران . أما ما رواه الخطيب وغيره من أنَّ الحارث المحاسبي تكلم في شيء من علم الكلام فهجره الامام أحمد بسببه ، فاختفى الحارث — لتعصُّب العامَّة للامام أحمد — في دارٍ ببغداد ومات فيها ، ولم يُصَلِ عليه إلا أربعةُ نفرٍ : فمستبعَدٌ ثبوتُه وصحَّتُه ، وقد أشار إلى ذلك الحافظُ الذهبي في « الميزان » : (١ / ١٩٩) فقال : « هذه حكايةٌ منقطعة » .

• • •

نعَمْ هناك أمرٌ آخَر انْتُقِدَ على أبي عبد الله المحاسبي رحمه الله تعالى ، مكَّن فيه ناقديه مِن نفسِه ، وهو إيرادُه الأحاديثَ الضعيفة وبعضَ الموضوعة في كتبه وتصانيفه ، واعتمادُه عليها وجعلُها (أصولاً) يَبْني على ما تضمَّنته المعانيَ والأحكام .

وهذا الشيخ الامام أبو بكر بن العربي مع إجلاله له ، واعتزازه

---

(١) قال المناوي في « فيض القدير » : (٤ / ٤٣١) : « قال ابن عربي : علم الكلام مع شرفه لا يحتاج إليه أكثر الناس ، بل رجل واحد يكفي منه في البلد ، بخلاف العلماء بفروع الدين فان الناس يحتاجون إلى الكثرة من علماء الشريعة ، ولو مات الانسان وهو لا يعلم اصطلاح القائلين بعلم النظر كالجوهر والعرض والجسم والجسماني والروح والروحاني : لم يسأله الله عن ذلك ، فانما يسأل الناس عما وجب عليهم من التكليف بالفروع ونحوها » .

Marfat.com

به ، وثنائِه عليه أطيبَ الثنـاء : ما وسعه إلا أن يَنْقُدَ منه هـذه الناحية حيث قال في كتابه : « عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي » : (٩/ ٢٠١) عند شرح حديث « الحلالُ بيِّن ، والحرامُ بيِّن ... » : « وأجَلُّ من تكلَّم فيه عالِمُنـا وكبـيرُنا : الحارثُ بن أسد . فمن الأصول التي زَعَم : قولُ عطية السَّعدي عن النبي ﷺ : « لا يَبْلُغُ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يَترُكَ ما لا بأس به مخـافةَ ما به بأس » (١) ، ونحوُ هذا من الأخبار ، وأطال القولَ في ذلك ، وأفاد فيما أعاد ، وجدَّد فـيما (أورد) ، **لولا تعلُّقُه بأحاديث ضعاف ، وبناؤه الأصولَ عليها !**

فان وقَفَ عليها علماءُ الحديث سَخِروا من ذلك وهزئوا به ، مع أنه لقي أحبارَ الدنيا في الحديث كابن أبي شيبة وغيرِه .

والذي عندي في ذلك ـ والله أعلم ـ ما رويناه عن أحمد بن حنبل : يَستجيز ليِّنَ الحديث في أمر الوَرَع .

ورضي الله عن البخاري الذي لم يَرَ أن يتعلَّق القلبُ ولم يَرتبط الدينُ إلا بالصحيـح ، وبه نقول . ولو مِلْنا إلى مذهب أحمد فلا يكون التعلُّق بليِّن الحديث إلا في المواعظ الـتي تُرقِّقُ القلوب ، فأمَّا في الأصول فـلا سبيلَ إلى ذلك » . انتهى ملخصاً مصحَّحا ما وقع فيه من تحريفات !

وهذا المأخذُ قائمٌ على أبي عبد الله في كتبه لا يُمكنُ التفصّي منه ، فان هذه الرسالة « رسالة المسترشدين » على صغرهـا : جاء فيها طائفةٌ من الحديث الضعيف ، وبعضُ الحديث الموضوع كما ستقف عليه في تخريجها .

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » : (٥/٢٧٨) وقال : « حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

Marfat.com

وقد سرى تساهلُه هذا إلى الشيخ أبي طالب المكي في « قوت القلوب » ، وإلى الامام أبي حامد الغزالي في « الاحياء » ، وإلى سواهما ممن ألّف في التصوف وأحوال النفس .

وأما ما يورده من (الاسرائيليات) فأغلبُه مما لم نُؤمَر بتصديقه ولا بتكذيبه ، وتجوزُ حكايتُه للعبرة والاتعاظ به .

هذا ، وللشيخ أبي عبدالله المحاسبي رحمه الله تعالى نَهْجٌ حسنٌ طيّب ، وهو أن تصوُّفَه الذي دوّنه في كتبه راعى فيه ما جاء في الكتاب والسُّنّةِ وأقوالِ الصحابة وأعمالِهم بحسب علمه وفهمه ، وما نجدُ في كتبه - فيما وقفتُ عليه - شطحاتٍ أو شيئاً من التصوُّفِ الفلسفي ، إنما يقومُ تصوُّفُه رحمه الله تعالى على الدعوة إلى تصحيحِ العلمِ والعَمَل ، ومراقبةِ الله تعالى ، وتزكيةِ النفس وتطهيرها من الأدران ، وتقريبها من رضوان الله عزّ وجلّ ، وهذا منهجٌ شرعيٌّ شريف ، يُشكر عليه ويُثابُ به إن شاء الله تعالى .

. . .

أما بيانُ أبي عبد الله المحاسبي فهو من الطراز الأول فصاحةً وسلاسة ، وجمالَ أداء وحُسنَ استيفاء ، له قلمٌ سيّال وبيانٌ أخّاذ ، ولغةٌ ناضرة في الذروة من الفصاحة والاشراق ، وله في كتابه هذا وفي كتابيه : التوهم » و « الرعاية » جُمَلٌ وقِطَعٌ من الكلام ما يُشبَعُ من تَرْدَادِها وسَمَاعِها ، لما حوَتْ من دِقّةِ التصوير وجزالةِ اللفظِ وأخْذ القلبِ بمعناها والسَّمْعِ بمبناها .

ولا غرابة في ذلك فقد كان أبو عبد الله في العصر الذهبي ، عاصَرَ الجاحظ وطبقَتَه مِن فصحاء العربيـــة وأدَبائِها ، كما عاصَرَ معروفاً

Marfat.com

الكرخي والسَّرِيَّ السَّقَطيَّ وبشراً الحافي من زُهاد الأمَّة وصُلَحائِها ، فـــلا بِدْعَ أن يكون صاحبَ قلمٍ وبَيَان ، ورُوحٍ وجَنَان ، رحمة الله عليه .

طَرفٌ من أحواله وأقواله :

من أحواله :

١ ـ حكى الأستاذ أبو القاسم القُشَيري رحمه الله تعالى في ترجمـــة المحـــاسبي في « الرسالة » : (ص ١٥) : « قال الأستاذ أبو عبد الله بن خفيف : اقتدوا بخمسةٍ من شيوخنا ، والباقون سَلِّموا إليهم أحوالَهم : الحارث بن أسد المحاسبي ، والجُنَيد بن محمد ، وأبو محمد رُوَيم ، وأبو العباس بن عطاء ، وعَمْرو بن عثمان المكي ، لأنهم جَمَعوا بين العلم والحقائق » .

٣ ـ حكى كلٌ من الحافظ أبي نعـــيم والخطيب البغدادي والشيـخ القشيري والتاج ابن السبكي وغيرُهم أن الشيـخ الجُنَيد وهـو تلميذُ الحارث المحاسبي قال : « كان الحارثُ كثيرَ الضُّر ـ سيِّء الحـال شديدَ الفقر ـ واجتازَ بي يوماً وأنا جالسٌ على بابنا ، فرأيتُ على وجهه زيادة الضُّرِّ من الجوع ! فقلتُ له : يا عمّ لو دخلتَ إلينـا نِلتَ من شيء عندنا ؟ قال : أوَ تفعـــل ؟ قلت : نعمْ وتسرُّني بذلك وتبُرُّني ، فدخلتُ بين يديه ودخل معـــي ، وعَمَدتُ إلى بيتِ عمي سريعاً ـ وكان أوسـع من بيتنـا ، لا يخلو من أطعمـــة فاخرة ، لا يكـون مثلُها في بيتنـا ـ فجئتُ بأنواعٍ كثيرة من الطعام ، فوضعتُه بين يديه ، فمدَّ يدهُ وأخذَ لقمة فرَفَعها إلى فيه ، فرأيتُه يلوكها ولا يزدَرِدُها

Marfat.com

ـ أي لا يستطيعُ بَلْعَها ـ فوَثب وخرَج وما كلَّمني !

فلما كان من الغد لقيتُه فقلتُ : يا عمِّ سرتني ثم نَغَّصْتَ عليَّ ! قال: يا بُنَيَّ أما الفاقة فكانت شديدة ، وقد اجتهدتُ في أن أنال من الطعام الذي قدَّمته إلي ، ولكن بيني وبين الله علامة : إذا لم يكن الطعام مَرضياً ـ بأن كان فيه شبهة ـ ارتفع إلى أنفي منه زفرةٌ فلم تقبْله نفسي ، فقد رميتُ تلك اللقمة في دهليزكم وخرَجتُ ! ».

زاد القشيري : « ثم قلتُ له : تدخل اليوم ؟ فقال : نَعَم ، فقدَّمتُ إليه كِسَراً يابسة كانت لنا ، فأكل وقال : إذا قدَّمت إلى فقيرٍ شيئاً فقدِّم إليه مثلَ هذا ».

٣ ـ حكى الشَّعراني في « الطبقات الكبرى » : (١/ ٦٤) والمُناوي في « الكواكب الدُّريَّة » : (١ / ٢١٩) عن الحارث المحاسبي نفسِه قال : « عَمِلتُ كتاباً في (المعرفة) ، وأعجبتُ به ، فبينا أنا ذات يوم أنظر فيه مستحسناً له ، إذ دخل عليَّ شابٌّ عليه ثيابٌ رثَّة ، وسلَّم عليَّ وقال : يا أبا عبد الله هل المعرفةُ حقٌّ للحقِّ على الخلْقِ ؟ أو حقٌّ للخَلْقِ على الحقِّ ؟ فقلتُ له : حقٌّ للحق على الخلق ، فقال : هو أولى أن يكشفها لمستحقِّها ! قلتُ : بل حق للخلق على الخلق ، قال : هو أعدل من أن يظلمهم ! ثم سلَّم عليَّ وخرج . قال الحارث : فأخذتُ الكتاب وغسلتُه ، وقلتُ : لا أتكلمُ في (المعرفة) بعدها أبداً ».

٤ ـ قال القُشيري في « الرسالة » : (ص ١٥) وابنُ خلِّكان في « الوفَيات » : (١ / ١٢٦) وغيرُهما : كان الحارثُ المحاسبي قد وَرِثَ من أبيه سبعين ألفَ درهم ، فلم يأخذ منها شيئاً ، قيل :

Marfat.com

لأن أباه كان يقول بالقدرَ ، فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً .

٥ ـ ذكرَ أبو نصر السرَّاج الطوسي في كتابه : « اللُّمَـــع » : (ص ٤٩٥) : دخل أبو حمزة الصوفي دارَ الحـارث المحاسبي، وكان للحـارث دار حسنة وثياب نظاف ، وفي داره شاةٌ مُرْغية، فصاحت الشاة مُرغية ، فشَهَق أبو حمزة شهقةً وقال : لبَّيك يا سيدي ! فغضب الحارثُ وعَمَد إلى سِكّين ، فقـال : إن لم تَتُبْ من هذا الذي أنت فيه أذبحك .

٦ ـ روى الخطيب في « تاريـخ بغداد » : (٨ / ٢١٥) وابن السبكي في « طبقـات الشافعية » : (٢ / ٣٨):«عن الحسين بن إسماعيل المحاملي القـاضي ، قال : قال أبو بكر بن هارون المجدَّر : سمعتُ جعفر بن أخي أبي ثور يقول : حضرتُ وفاة الحارث المحاسبي ، فقال : إن رأيتُ ما أحبُّ تبسَّمتُ إليكم ، وإن رأيتُ غيرَ ذلك تبيَّنتم في وجهي . قال : فتبسَّمَ ثم مات » . رحمه الله تعالى وأكرم مُقامَه .

من أقواله :

١ ـ لكل شيءٍ جوهر ، وجوهرُ الانسان عقلُه ، وجوهرُ العقل : التوفيق . وفي رواية : وجوهَرُ العقل : الصبر .

٢ ـ خيارُ هذه الأمَّة الذين لا تَشْغلُهم آخرتُهم عن دنياهم ، ولا دنياهم عـن آخرتهم .

٣ ـ حُسْنُ الخُلُق : احتمالُ الأذى وقلَّةُ الغضب، وبَسْطُ الوجه ، وطيبُ الكلام .

Marfat.com

٤ ـ منْ لم يشكر الله تعالى على النعمة فقد استدعى زوالهَا.

٥ ـ كلُّ زاهدٍ زُهْده على قدر معرفته ، ومعرفتُه على قدر عقله ، وعقلُه على قدر قوة إيمانه .

٦ ـ الظالم نادم وإن مدحه الناس ، والمظلوم سالم وإن ذمَّـــه الناس ، والقانع غني وإن جاع ، والحريص فقير وإن ملك .

٧ ـ من صحَّحَ باطنه بالمراقبـة والاخلاص زيَّنَ الله ظاهرَهُ بالمجاهدة واتِّباع السُّنَّة .

٨ ـ لا يَصْلُح عبدٌ إلا أصلح الله بصلاحه سواه ، ولا يَفسُدُ عبدٌ إلا أفسد الله بفساده غيرَه .

٩ ـ صفة العبودية أن لا ترى لنفسك ملكا ، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعاً .

١٠ ـ الاخلاصُ إخراجُ الخلـــق من معاملة الله تعالى ، والنفسُ أوَّلُ الخَلْق .

١١ ـ من اجتهد في باطنه ورَّثَه الله حُسنَ معاملة ظاهره ، ومن حسَّنَ معاملته في ظاهره مع جهد باطنه ورَّثه الله الهـــداية إليه ، لقوله تعالى : « والذين جاهَدُوا فينا لنهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وإنَّ الله لَمعَ المحسنين » .

مؤلفاته

١ ـ الرعاية لحقوق الله عز وجل . طبـع في أوربا ثم طبـع بمصر من غير تاريخ .

٢ ـ كتاب التوهم . طبـع بمصر سنة ١٣٤٧-١٩٣٧ .

٣ ـ رسالة المسترشدين . وهي التي ننشرها .

Marfat.com

٤ ـ آداب النفوس .

٥ ـ شرح المعرفة .

٦ ـ البعث والنشور .

٧ ـ المسائل في أعمال القلوب والجوارح .

٨ ـ المسائل في الزهد وغيره .

٩ ـ مائية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه .

١٠ ـ كتاب في الدماء .

١١ ـ كتاب التفكر والاعتبار .

١٢ ـ رسالة الوصايا .

١٣ ـ بدء من أناب إلى الله تعالى .

١٤ ـ التنبيه على أعمال القلوب في الدلالة على وحدانية الله.

١٥ ـ رسالة المراقبة .

١٦ ـ القصد والرجوع إلى الله تعالى .

١٧ ـ كتاب النصائح .

١٨ ـ مختصر كتاب فهم الصلاة .

١٩ ـ كتاب العظمة .

٢٠ ـ شرح المعرفة وبذل النصيحة .

٢١ ـ المكاسب والورع والشبهة وبيان مُباحها ومحظورها واختلاف الناس في طلبها ، والرد على الغالطين فيها .

Marfat.com

مصادر الترجمة مع بيان موقع الترجمة فيها مرتبة بحسب الاستيفاء لها

١ - الحلية لأبي نعيم	ط مصر	١٣٥٠	١٠/ ٧٣-١١٠
٢ - تاريخ بغداد للخطيب	ط	١٣٤٩	٨ /٢١١-٢١٦
٣ - ميزان الاعتدال للذهبي	ط	١٣٢٥	١ /١٩٩-٢٠٠
٤ - طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي	ط مصر	١٣٣٤	٢/ ٣٧-٤٢
٥ - تهذيب التهذيب لابن حجر	ط الهند	١٣٢٥	٢ /١٣٤-١٣٦
٦ - طبقات الصوفية للسلمي	ط مصر	١٣٧٢	ص ٥٦ - ٦٠
٧ - الكواكب الدرية للمناوي	ط	١٣٥٧	١ / ٢١٨-٢١٩
٨ - الرسالة القشيرية للقشيري	ط بولاق	١٢٨٤	ص ١٥ - ١٦
٩ - صفة الصفوة لابن الجوزي	ط الهند	١٣٥٥	٢ /٢٠٧-٢٠٨
١٠- الطبقات الكبرى للشعراني	ط مصر	دون تاريخ	١ - ٦٤
١١- شذرات الذهب لابن العماد	ط	١٣٥٠	٢ / ١٠٣
١٢- مرآة الجنان لليافعي	ط الهند	١٣٣٧	٢ /١٤٢-١٤٣
١٣- وفيات الأعيان لابن خلكان	ط مصر	١٣١٠	١ / ١٢٦-١٢٧
١٤- الفهرست لابن النديم	ط مصر	١٣٤٨	ص ١٦١
١٥- مفتاح السعادة لطاش كبري	ط الهند	١٣٢٩	٢ /١٧٢-١٧٣
١٦- البداية والنهاية لابن كثير	ط مصر	١٣٥١	١٠ / ٣٣٠
١٧ - الكامل لابن الأثير	ط مصر	١٣٠٣	٧ / ٢٧
١٨ - العبر للذهبي	ط الكويت	١٣٨٠	١ /٤٤٠
١٩ - اللمع لأبي نصر السراج	ط مصر	١٣٨٠	ص٢٨٩و٤٩٥
٢٠ - تتمة المختصر لابن الوردي	ط مصر	١٢٨٥	١ / ٢٢٧

٢١ - فهرس المخطوطات المصورة في معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة
الجزء الأول : (التصوف والآداب الشرعية) ط مصر ١٣٧٤

Marfat.com

رسالة المسترشدين

للحارث المحاسبي

أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري

توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

رحمه الله تعالى

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد الفتاح أبو غدة

بطبع لأول مرة عن نسختين مخطوطتين

الناشر

مكتب المطبوعات الإسلامية

حلب ـ الفرافرة ـ جمعية التعليم الشرعي ☎ ٢١٥٦٦

Marfat.com

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّٰه الأوّلِ القديم ، الواحدِ الجليل ، الذي ليس له شَبيهٌ ولا نظير ، أحمَدُه حمداً يُوافي نِعمه ويبلغُ مدَى نَعْمائه .(١)

وأشهدُ: أن لا إله إلّا اللّٰه ، وحده لا شريك له ، شهادةَ عالمٍ برُبوبيته ، عارفٍ بوَحدَانيته . وأشهد : أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، اصطفاه لوحْيِهِ وخَتَمَ به أنْبياءَهُ ، وجَعَلَهُ حُجّةً على جميعِ خلْقِه ، ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ، ويَحْيَى مَنْ حَيَّ عن بَيِّنَةٍ ﴾ .(٢)

وأنَّ الله عَزَّ وجلَّ اجتَبَى من عباده المؤمنين: ذوي الألباب العالمينَ به وبأمرِه ، فوصَفَهم بالوفاءِ والأخلاقِ الفاضلة والخوفِ والخشية ، فقال عزّ وعلا : ﴿ إنّما يَتَذَكَّرُ أولوا الألباب . الذين يُوفون بعهدِ اللّٰه ولا يَنْقُضُون الميثَاق . والذين يَصلون ما أمَرَ اللّٰهُ

---

(١) أي نِعمتِه .
(٢) الآية (٤٢) من سورة الأنفال .

Marfat.com

به أن يُوصَل ويَخْشَون ربَّهم ويخافون سُوءَ الحساب ﴾ (١) .

فمن شَرَح اللهُ صَدْرَه ، ووَصلَ التصديقُ إلى قلبه ، ورَغِبَ في الوسيلة إليه : لَزِمَ منهاجَ ذوي الألباب برعاية حُدودِ الشريعة من كتابِ الله تعالى ، وسُنَّة نبيِّه عليه الصلاة والسلام ، وما اجتمع عليه المهتدون من الأئمة . وهذا هو الصراطُ المستقيم الذي دعا إليه عبادَه فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ وأنَّ هـذا صراطي مستقيماً فاتَّبعوه ، ولا تَتَّبِعوا السُّبُلَ فتَفَرَّقَ بكم عن سَبيلِه ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تَتَّقون ﴾ (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ مِن بعدي ، عَضُّوا عليها بالنواجذ » (٣) .

---

(١) الآيات (١٩ و ٢٠ و ٢١) من سورة الأنفال . ووقع في الأصلين : (وما يذكر إلا أولوا الألباب . . .) . وهو سهو من الناسخ .

(٢) الآية (١٥٣) من سورة الأنعام .

(٣) هو بعضُ حديث رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن العِرباض بن سارية السُّلَمي رضي الله عنه . والنواجذُ : آخرُ الأضراس . والأمرُ بالعضّ على السُّنَّةِ بالنواجذ : كنايةٌ عن شدّة التمسكِ بها والجدِّ في لزومها ، كفعل من أمْسَكَ الشيءَ بنواجذه وعَضَّ عليه لئلا يُنزَعَ منه .

Marfat.com

واعـــلم أنَّ فريضةَ كتابِ اللّٰه : العَمَلُ بِمُحْكَمِهِ (١)
من الأمرِ والنهيِ والخوفِ والرجاءِ لوعدِه ووعيدِه ، والإيمان
بمُتَشابهِه ، والاعتبارُ بقِصَصِه وأمْثَالِه . فَإِذَا أَتيتَ بذلِكَ فَقَدْ
خَرَجْتَ مِنْ ظُلُمَاتِ الجهلِ إلى نُورِ العِلْمِ ، ومِنْ عذابِ الشَّكّ
إلى رَوْحِ اليقينِ (٢) ، قال اللّٰهُ جَلَّ ذكرُهُ : ﴿ اللّٰهُ وَلِيُّ الذينَ آمَنُوا ،
يُخْرِجُهم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ ﴾ (٣) .

---

(١) وقع في الأصلين : (بحكمه) . وهو تحريف .

(٢) الرّوح بفتح الراء : الراحة .

(٣) الآية (٢٥٧) من سورة البقرة. وهذا الكلام من الامام أبي عبد الله المحاسبي رحمه الله تعالى : يُفيدُ أنَّ أمرَ الاهتداء إلى الله تعالى وصلاح النفس وتزكيتها لا يتوقّفُ على التزام (شيخ وبيعة) ، وإنما يتوقّفُ على التزام العِلْمِ والعَمَلِ الذي أمرَ الله به ، وتضمّنَهُ الكتابُ والسّنّة وسلوكُ سلف الأمّة.

فأيّ إنسانٍ مسترشد عَمِلَ بكتابِ الله وسنةِ رسوله وسيرةِ الخلفاء الراشدين والسلف الصالحين فقد سَلَكَ طريق الهُدَى ، وتوجَّه إلى الله تعالى راشداً مهديّاً ، إذ القرآن والسنّةُ في ذاتهما هاديانِ إلى الله تعالى ومزكّيان للرّوحِ والنّفْسِ أيمَّا تزكية .

وقد جاءت بذلك الآيات والأحاديث الكثيرة ، فمن الآيات قولُهُ تعالى : « إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقوم ويُبَشِّرُ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً »، وقولُه تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبَلٍ لرأيتَه=

Marfat.com

وإنّما يُميّزُ ذلك ويَرْغَبُ فيه أهلُ العَقْلِ عَنِ اللهِ[1]، الذينَ عَمِلُوا في إحْكامِ الظاهِرِ، وَتَنَزَّهُوا عَنِ الشُبَهِ، قال رسول الله ﷺ: «الحلالُ بَيِّنٌ والحرامُ بَيِّنٌ، وبَيْنَ ذلكَ أُمورٌ مُشْتَبِهاتٌ»[2].

خاشعاً متصدّعاً من خشية الله»، وقولُهُ تعالى: «هو الذي بَعَثَ في الأمّيين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتِه ويُزَكّيهم». وتزكيةُ الرسول للناس قائمة مستمرة إلى الأبد: بأقواله وأفعاله. وأقوالُه وأفعالُه صلى الله عليه وسلم هي الهادية المعلّمة من قبل ومن بعد، ولا تزال بحمد الله مُدوّنة محفوظة. ومن الأحاديث الشريفة قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ذكره المؤلف: «عليكم بسُنّتي وسُنّة الخلفاء الراشدين من بعدي عَضّوا عليها بالنواجذ»، وقولُه صلى الله عليه وسلم: «تركتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسُنّتي»، وقولُه صلى الله عليه وسلم: «فمن رَغِبَ عن سُنّتي فليس مني».

فقولُ بعضِهم: «يخطىء من يظن أنه يستطيع بنفسه أن يعالج أمراضه القلبية بمجرّد قراءة القرآن الكريم، والاطلاع على أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا لم يستطع أصحاب رسول الله أن يُطبّبوا أنفسَهم بمجرّد قراءة القرآن ...» افتئاتٌ بَحْتٌ على الله ورسوله، وتعطيلٌ وإلغاء لكلام الله وكلام رسوله، نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر ومن الزلل بعد الهُدَى. وانظر «الرسائل الصغرى» لشيخ الصوفية في عصره الشيخ ابن عباد النفزي (ص ١٠٦).

(١) أي أهلُ الفَهْم عن الله تعالى.

(٢) هو بعضُ حديث رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي وغيرهم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. واللفظ المذكور عند الترمذي. وجملةُ «تَرْكُها خيرٌ مِن أخذِها» ظاهرُ السياق أنها من تمام الحديث، ولكني لم أقف عليها في شيء من طرق الحديث=

Marfat.com

. . . . . .

= ورواياته على كثرةِ ماتتبَّعتُها ، فلهذا جعلتُها خارج الهلالين ، والله أعلم .

وتمامُ رواية الترمذي : « ... وَبَيْنَ ذلك أمورٌ مُشْتَبِهات ، لا يدري كثيرٌ من الناس أمِنَ الحلال هي أم من الحرام ، فمن تركها استبراءً لدينه وعِرْضه فقد سلِم ، ومَنْ واقَعَ شيئاً منها يُوشِكُ أن يُواقعَ الحرام ، كما أنه من يَرعى حول الحمى يُوشِكُ أن يُواقعه . ألا وإنّ لكل مَلِكٍ حِمى ، ألا وإنّ حِمَى الله محارِمُه » . أي مَعَاصيه . زاد البخاري ومسلم في روايتهما : « ألا وإن في الجَسَد مُضغَةً إذا صَلَحتْ صَلَح الجَسَدُ كلُّه ، وإذا فَسَدتْ فَسَد الجَسَدُ كلُّه ، ألا وهي القَلبُ » .

قال العلامة زين الدين ابنُ المُنَيِّر في شرحه على « صحيح البخاري » عند رواية البخاري : « ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام » : إن شيخه القدوة الزاهد الشيخ أبا القاسم بن منصور القَبَّاري الاسكندراني كان يقول: المُباحُ: عَقَبَةٌ بين العَبْدِ وبين المكروه، فمن استكثر من المباح تطرَّق إلى المكروه ! والمكروه عَقَبة بين العَبْدِ وبين الحرام، فمن استكثرَ من المكروه تطرَّقَ إلى الحرام! قال الحافظ ابن حجر بعد نقلِهِ في « فتح الباري » : (١١٨/١) : « وهو منزعٌ حَسَن ، ويؤيده روايةُ ابن حِبَّان من طريقٍ ذكَر مسلمٌ إسنادَها ولم يسُق لفظَها، فيها من الزيادة : « اجعلوا بينكم وبين الحرام سُتْرةً من الحلال ، من فَعلَ ذلك استبرأَ لعِرضِه ودِينه ، ومن أرْتَع فيه كان كالمُرتعِ إلى جَنْبِ الحمى يوشك أن يقع فيه » .

ثم قال الحافظُ ابن حجر : « ومعنى الحديث : أنّ الحلال حيث يخشى أن يؤول فعلُه مطلقاً إلى مكروه أو محرَّم ينبغي اجتنابه ، كالاكثار مثلاً من الطيبات فانه يُحوِج إلى كثرة الاكتساب الموقع في أخذِ مالا يستحق، أو يُفضِي إلى بَطَرِ النفس ، وأقلُّ ما فيه الاشتغالُ عن مواقف العبودية ، وهذا معلوم بالعادة مشاهد بالعِيان . ويَختلِفُ ذلك باختلاف الناس :

فالعالمُ الفَطِنُ ، لا يَخفى عليه تمييزُ الحكم فلا يقع له ذلك إلا في

= الاستكثار من المباح أو المكروه كما تقرَّر قبل .

Marfat.com

تَرْكُهَا خَيرٌ مِنْ أَخْذِهَا .

فافحص عن النية [1] ، واعرِف الإرادة ، فإنَّ المُجَازَاة :

وَمِنْ دُونه : تقع له الشبهة في جميع ماذُكِرَ بحسب اختلاف الأحوال .

ولا يخفى أن المستكثر من المكروه تصيرُ فيه جُرأة على ارتكابِ المنهيِّ عنه في الجملة ، أو يحَمِلُه اعتيادُهُ ارتكابَ المنهي عنه غير المحرَّم على ارتكاب المنهيِّ عنه المحرم إذا كان من جنسه ، أو يكون ذلك لشُبهةٍ وهو أن من تعاطى ما يُنهَى عنه يصيرُ مُظلِمَ القلب لفقدان نُور الورع ! فيقع في الحرام ولو لم يختر الوقوعَ فيه ! » .

وقال العلامة القسطلاني في « إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري » عند هذا الحديث : (١ / ١٩١) : « بالله عليك مالم تعلم حِلَّه يقيناً : اترُكْه ، كتركه ﷺ تمرةً خشيةَ أن تكون من تمر الصدقة ، وأعلى الورع تَرْكُ الحلال مخافة الحرام ، كترك إبراهيم بن أدهم أجرَتَهُ لشكّتِه في وفاء عمله ، وطَوَى عن جوعٍ شديد .

وقالَتْ أختُ بِشْرٍ الحافي لأحمد بن حنبل : إنا نَغْزِلُ على سطوحنا فيَمُرُّ بنا مَشاعِلُ الظاهرية ـ الحَرَس ـ ويقع الشّعاعُ علينا أفيجوز لنا الغَزْلُ في شُعاعِها ؟ فقال : مَنْ أنتِ عافاك الله ؟ قالت : أختُ بِشْر الحافي ، فبكى وقال : مِن بيتكم يَخْرُجُ الورعُ الصادق ، لا تغزلي في شُعاعها .

وأقامت السيدة بديعة الايجية من أهل عصرنا هذا ـ القرن العاشر ـ بمكة أكثر من ثلاثين سنة لم تأكل من اللحوم والثمار وغيرها المجلوبة من (بَجِيلة) لمَّا قيل : إنهم لا يُورِّثون البنات . وامتنع أبوها نور الدين من تناول ثمَرِ المدينة لمَّا ذُكِرَ أنهم لا يزكون . ومن ترخَّصَ ندم ، والأورعُ أسرعُ على الصراط يوم القيامة » انتهى . وانظر باب الورع في « الرسالة القشيرية » تقف على العجائب المُشرقة المدهشة .

(١) النيَّةُ : قصدُ القلب للشيء وعَزْمُه على فِعْلِه أو تركِه .

Marfat.com

بالنيَّة[١] ، قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم : « إِنمَّا الأَعمالُ بالنّيَّاتِ ، وإِنمَّا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى »[٢] .

والزم تقوى الله ، فإِنَّ « المُسْلِمَ مَنْ سَلِمَ النَاسُ مِنْ يَدِهِ ولِسَانِهِ ، والمُؤْمِنَ مِنْ أَمِنَ النَاسُ بَوَائِقَه »[٣] . قال أبو بكر الصِّدِّيقُ

---

(١) قلت : وهذا مِن أكبر نِعَمِ الله تعالى على العبد المسلم ، فانه ـ إذ يُجازَى بنيَّته ـ يستطيعُ أن يُكثرَ من نيَّات الخير الذي يُرضي الله تعالى ، ويدَّخرَ بذلك ثواباً حسناً على عملٍ صالحٍ لم يعمله ، ولكن نواه وكان يعتزمُ تنفيذَه لو تمكَّن منه .

وكذلك النيَّةُ السَّيئة : يُحاسَبُ ناويها بها ، ويُعاقَبُ على هَمِّه بتنفيذها ولو لم يفعل ما عَزَم عليه من سوء ، إذا كان قد تركها لغير الله تعالى : لنحوِ عجزٍ أو حياءٍ أو رهبةٍ من الناس أو فِقدانه الوسيلة إليها .

فأخلِصْ لله تعالى النيَّةَ ، وأحسِنِ الطويَّة ، وتلَقَّ ثوابَ رَبِّ البريَّة .

(٢) رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولفظُ (إنما) في الجملة الثانية ساقطٌ من الأصل . كما سقط من الجملتين في النسخة المغربية . وللسَّلَف في فحص النيَّة وتخليصِها من الشوائب أقوالٌ كثيرة ، قال يوسف بن أسباط : تخليصُ النيَّة من فسادها أشدُّ على العامِلين من طولِ الاجتهاد . وقال سفيان الثوري : ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليّ من نيتي ! لأنها تنقلِبُ عليَّ ! وقيل لنافع بن جبير : ألا تشهدُ الجنازة ؟ قال : كما أنتَ حتى أنوي ، ففكَّرَ هُنَيْهَةً ثم قال : امضِ . نقله الحافظ ابنُ رجب في « جامع العلوم والحكم » : (ص ٩) عن « كتاب الاخلاص والنيَّة » لابن أبي الدنيا .

(٣) البوائق جمعُ بائقة ، وهي الشَّرُّ والمصيبة . والكلام المذكور : حديث شريف رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ ، ولفظُ الحديث عند الامام أحمد

Marfat.com

رضي اللّٰه عنه : اتقِ اللّٰه بطاعته، وأطِعِ اللّٰه بتقواه ، ولْتَخَفْ يَدَاكَ مِنْ دِمَاءِ المُسْلمين ، وبطْنُكَ مِنْ أمْوالِهِمْ ، ولِسَانُكَ مِنْ أعرَاضِهِمْ .

وَحاسِبْ نفسكَ في كلِّ خَطْرَة [1] ، وراقِبِ اللّٰهَ في كلِّ

=والنسائي والترمذي والحاكم في « المستدرك » وابن حِبَّان في «صحيحه» : «المسلمُ: من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويَدِه ، والمؤمنُ : من أمِنَه الناسُ على دمائِهم وأموالِهم » ، كما في « الجامع الصغير » . وقال شارحه المناوي في « فيض القدير »: (٦/ ٢٧٠) : « جاء في رواية الحاكم زيادةٌ وهي : والمجاهدُ : من جاهَدَ نفسَهُ في طاعةِ الله ، والمهاجرُ : من هَجَرَ الخطايا والذنوب » .

(١) للشيخ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كلامٌ في الخطرة والفكرة وما إليهما في غاية الدقة والنفاسة ، ما أصدَقَهُ وما أحقَّهُ ؟ ! كأنه خرج من مِشكاة النبوَّة ، وأنا ناقلُه لك ـ على طوله ـ راجياً منك أن تتدبَّره ففيه الخيرُ لك في دِينك ودُنياك . قال رحمه الله تعالى في كتابه : « الفوائد » : (ص ٣١ و ١٧٣ ـ ١٧٤) من الطبعة المنيرية المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٤ : « دافِعِ الخطرة ، فان لم تفعل صارَتْ شَهْوَة ، فحارِبْها ، فان لم تفعل صارَتْ عزيمةً وهمّة ، فان لم تدافِعْها صارَت فعلاً ، فان لم تتداركه بضِدّه صار عادةً ! فيَصْعُبُ عليك الانتقالُ عنها ! !

واعلم أن مبدأ كل علمٍ اختياري هو الخواطِرُ والأفكار ، فانها تُوجب التصورات ، والتصورات تدعو إلى الارادات ، والارادات تقتضي وقوعَ الفعل . وكثرَةُ تكرارِهِ تُعطي العادة . فصلاحُ هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار ، وفسادُها بفسادها .

فصلاحُ الخواطر بأن تكون مراقبةً لوليّها وإلهها ، صاعدةً إليه ، دائرة على مَرْضاتِه ومحابّه ، فانه سبحانه به كلُّ صلاح ، ومِنْ عندِهِ كلُّ هُدى ،=

Marfat.com

نَفسٍ . قال عُمَرُ رضي الله عنه : حَاسِبُوا أَنْفُسَكم قبل أَن تُحَاسَبُوا وزِنُوهَا قبلَ أَنْ تُوزَنُوا ، وتَزَيَّنُوا (١) لِعَرْضِ الأَكْبَرِ يَوْمَ لاَ

= ومِن توفيقِه كلُّ رشد ، ومِن توليّه لعبده كلُّ حِفْظ . ومِنْ تولّي العبدِ وإعراضه عنه كلُّ ضلالٍ وشقاء !

واعلم أنَّ الخطرات والوساوس تؤدّي متعلّقاتِها إلى الفِكر ، فيأخذها الفِكَر فيؤديها إلى التذكر ، فيأخذها التذكر فيؤديها إلى الارادة ، فتأخذها الارادة فتؤدّيها إلى الجوارحِ والعَمَل ، فتستحكم فتصيرُ عادةً . فرَدُّها مِن مَبَادِئِها أسهلُ مِن قطعِها بعد قُوَّتِها وتمامِها .

ومعلوم أنَّ الانسان لم يُعطَ إماتةَ الخواطر ، ولا القوَّةَ على قَطعِها ، فانها تهجُمُ عليه هُجومَ النَّفس ، إلا أنَّ قوَّة الايمانِ والعقلِ تعينه على قبولِ أحسَنِها ورضاه بـه ومُسَاكنتِه له ، وعلى دَفْعِ أقبحِها وكراهتِه له ونَفْرَتِه منه .

وقد خَلق الله سبحانه النَّفْسَ شبيهةً بالرَّحى الدائرةِ التي لا تَسْكُنُ ولا بُدَّ لها مِن شيءٍ تَطحَنه . فانْ وُضِعَ فيها حَبٌّ طحَنَتْه ، وإن وضع فيها ترابٌ أو حَصىً طَحَنَتْه !

فالأفكارُ والخواطرُ التي تجولُ في النّفس هي بمنزلة الحَبِّ الذي يُوضَعُ في الرَّحى ، ولا تَبْقَى تلك الرَّحى مُعطّلةً قط ، بل لا بُدَّ لها من شيءٍ يُوضَعُ فيها ، فمِن الناسِ مَنْ تَطْحَنُ رحاهُ حَبّاً يَخرُجُ دقيقاً يَنفَعُ به نفسَهُ وغيرَه ، وأكثرُهم يَطْحَنُ رَمْلاً وحصىً وتِبْناً ونحوَ ذلك ، فاذا جاءَ وقتُ العَجْنِ والخَبزِ تبيَّنَ له حقيقةُ طحينِه ! ! » .

(١) أي استعدُّوا وتهيئوا .

Marfat.com

تَخْفَ مِنْكُمْ خَافِية [1] .

وَخَفِ اللهَ في دِينِكَ ، وَارْجُهُ في جَمِيعِ أمورك ، وَاصْبِرْ عَلَى ما أَصابَكَ . قال عليّ رضي اللهُ عنه : لا تَخَفْ إلاّ ذَنْبَكَ ، ولا تَرْجُ إلاّ رَبَّكَ ، وَلا يَسْتَحِي الذي لا يَعْلَمُ أنْ يَسْأل حَتَّى يَعْلَم ، ولا يَسْتَحِي مَنْ يُسْأَلُ عَمَّا لا يَعْلَمُ أنْ يَقُول : لا أعلَم .

واعْلَمْ أنَّ الصَّبْرَ مِنَ الإيمانِ بِمَنْزِلَةِ الرأسِ من الجَسَدِ [2] ، فاذا قُطِعَ الرأسُ ذهبَ الجسَد ، وإذا سَمِعْتَ كَلِمَةً تُغْضِبُكَ في

---

(١) علّق الترمذيُّ في « سننه » : (٩ / ٢٨٢) في أبواب صفة القيامة كلمةَ عمر هذه بلفظ : « حاسِبُوا أنفسَكم قبل أن تُحَاسَبوا ، وَتَزَيَّنُوا للعَرْضِ الأكبر ، وإنما يخِفُّ الحسابُ يوم القيامة على مَنْ حاسَبَ نفسَه في الدنيا » . ثم قال الترمذي : « ويُروَى عن ميمون بن مِهْران قال : لا يكون العبدُ تقيّاً حتى يُحاسِبَ نفسَهُ كما يُحاسِبُ شريكَهُ من أين مَطعَمُهُ وملبسُهُ ؟ » .

وقال المناوي في « فيض القدير » : (٥ / ٦٧) : « قال الشيخ ابنُ عربي كان أشياخنا يحاسبون أنفسَهم على مايتكلّمون به وما يفعلونه ، ويُقيّدونه في دفتر ، فاذا كان بعد العِشاء حاسبوا نفوسَهم ، وأحضروا دفترهم ، ونظروا فيما صَدَرَ منهم من قولٍ وعمل ، وقابلوا كُلاًّ بما يستحقه ، إن استحقّ استغفاراً استغفروا ، أو التوبةَ تابوا ، أوشكراً شكروا ثم ينامون ، فزِدْنا عليهم في هذا البابِ : الخواطرَ ، فكنا نُقيّدُ ما نُحدّثُ به نفوسَنا ونَهُمُّ به ، ونُحاسِبُها عليه » .

(٢) يروى من حديث أنس عن النبي ﷺ وهو حديث ضعيف ، ويروى من كلام سيدنا علي موقوفاً عليه . كما في « الجامع الصغير » للسيوطي .

Marfat.com

عِرْضك فاعفُ واصفَحْ ، فانَّ ذلِك مِن عزم الأمور . قال عُمَر بنُ الخطَّاب رضى الله عنه : مَنْ خَافَ اللّٰهَ لَم يَشْفِ غَيظَهُ ، ومَنْ اتّقَاهُ لَم يَصنَعْ مَا يُريد ، ولولا يومُ القيامة لَكان غيرَ ما تَرَوْن .

وَرَاعِ همَّكَ ، واشتَغِلْ بإصْلاح نفسِك عن عيبِ غيرِك ، فإنه كان يُقال : كَفَى بالمرءِ عيباً أن يَستَبِينَ[1] له من النَاسِ مَا يَخْفَى عليهِ مِنْ نفسِهِ ، أو يَمْقُتَ النَاسَ فيما يأتي مثْلَهُ ، أو يُؤذيَ جليسَهُ ، أو يقولَ في النَاسِ ما لا يَعْنِيهِ .

واستعمِلْ للهِ عقلكَ بِتَرْكِ التَدبير[2] ، واستَعِن باللّٰهِ على صَرْفِ المقادير . قال عليّ رضي اللّٰه عنه : يا ابنَ آدم ! لا تَفْرَحْ بالغِنَى ، ولا تَقْنَطْ بالفَقْر ، ولا تَحْزَنْ بالبَلاءِ[3] ، ولا تَفْرَحْ بالرَّخَاءِ ، فإنَّ الذَّهَبَ يُجَرَّبُ بالنَارِ ، وإنَّ العبدَ الصالحَ يُجَرَّبُ

---

(١) : أي يتظهر .

(٢) : أي لا تعتمد على تدبير عقلك كل الاعتماد ، فالعقل حدودٌ ينتهي بصرُ العقل عندها ، وإنما عليك التسليمُ لله في تدبيره مع الأخذِ بالأسباب التي أمرك بها ، ثم تفوّضُ الأمرَ إليه سبحانه في عاقبة ما يُقدّره لك من عطاءٍ أو حرمان ، فانه أرحمُ بك مِن نفسك ، وأعلمُ بما ينفعُك ويضرُّك .

(٣) جاء في الأصلين : (في البلاد) .

Marfat.com

بالبلاءِ[1]، وإنّكَ لا تَنَالُ ما تريد إلا بتَرْكِ ما تَشْتَهِي، ولَن تَبْلُغَ ما تُؤَمِّلُ إلا بالصَّبرِ على ما تَكْرَهْ، وابذُلْ جُهدَكَ لرعايةِ ما افْتُرِضَ عليك.

وارْضَ بما أرادَكَ اللهُ بهِ. قال ابنُ مسعود رضي اللهُ عنه: ارضَ بما قَسَمَ اللهُ لكَ تَكُنْ مِنْ أغنَى النَاسِ واجتَنِبْ ما حرَّمَ اللهُ عليك تكن مِن أورعِ النَاسِ، وأَدِّ ما افترضَ اللهُ عليك تكن مِن أعبدِ النَاس، ولا تَشْكُ مَنْ هُوَ أرْحَمُ بكَ إلى مَنْ لا يَرْحَمُكَ، واستَعِنْ باللهِ تكنْ مِن أهلِ خَاصَّتِهِ. قالَ عُبَادَةُ بن الصامت رضي اللهُ عنهُ: أظْهِرِ اليَأسَ مِمَّا في أيدِي النَاس فإنَّهُ الغِنَى، وإياكَ والطمعَ وطَلَبَ الحَاجَاتِ فإنَّهُ الفَقْرُ، وإذا صَلَّيْتَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ.

واعْلَمْ أنَّكَ لَنْ تَجِدْ طَعْمَ الإيمانِ حَتَّى تُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ.

---

(١) قال الشيخ ابن قيم الجوزية في «الفوائد»: (ص٣٢): مَنْ خَلَقَهُ اللهُ للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومَنْ خَلَقَهُ للنَّارِ لم تَزَلْ هداياها تأتيه من الشهوات.

Marfat.com

وكنْ بالحقِ عاملاً يَزِدْكَ اللهُ نوراً وبصيرة[١] ، ولا تكنْ مِمَّنْ يأمُرُ بِهِ وَيَنْأَى عَنْهُ ، فيبُوءَ بإثْمِهِ ، ويَتَعَرَّضَ لِمَقْتِ رَبِّهِ ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عندَ اللهِ أنْ تقُولُوا مَا لاَ تفْعَلُونَ﴾[٢] ، وقال رسول الله ﷺ : « مَنْ وَعَظَ ولَمْ يَتَّعِظْ ، وَزَجَرَ ولَمْ يَنْزَجِرْ ، ونَهَى وَلَمْ يَنْتَهِ : فهو عند اللهِ مِنَ الخَائِبِينَ »[٣] .

ولا تخالِطْ إلا عاقِلاً تقياً ، ولا تُجَالِسْ إلا عالِماً بصيراً . وقدْ سُئِلَ النبيُّ ﷺ : أيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ ؟ قالَ : « مَنْ ذَكَّرَكُمُ باللهِ رُؤْيَتُهُ ، وَزَادَكُمْ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ ، وَذَكَّرَكُمُ بالآخِرَةِ عَمَلُه »[٤] .

---

(١) وقع في النسخة المغربية : (وكن بالله بالحق عاملا به يزدك ...) .

(٢) الآية (٣) من سورة الصف .

(٣) هذا الحديث لم أقف عليه فيما رجعت إليه من كتب الحديث الصحيح والضعيف والموضوع ، فالله أعلم به .

(٤) وقع في الأصلين : (عِلْمُهُ) . ولفظ الحديث في « الجامع الصغير » للسيوطي رحمه الله تعالى : خيارُكم من ذكّركم بالله رؤيتُه، وزادَ في عِلمِكم مَنْطقه ، ورغّبَكم في الآخرةِ عملُه » ، رواه الحكيم الترمذي عن عبدالله بن عمْرو بن العاص . قال المُناوي في شرحه : « فيض القدير » : (٣/٤٦٨) : « قال ابنُ عَمْرو : قيل يارسول الله مَنْ نجالس ؟ فذكره . ورواه العسكري من=

Marfat.com

وتواضَعْ للحقِ واخضعْ لهُ، وأَدِمْ ذِكْرَ اللهِ تَنَلْ قُرْبَهُ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «جُلَسَاءُ اللهِ يومَ القيامةِ: الخَاضِعونَ المتواضِعونَ الخَائِفُونَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً»[1].

=حديث ابن عباس». انتهى. قلت: والعزوُ إلى هذين المصدرين مُشعرٌ بضعف الحديث.

(١) هـذا الحديث لم أجده فيما رجعتُ إليه من المراجع الحديثية، فالله أعلم به.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في «شرح حديث العلم»: (ص ١٧ - ٢١): «وفي الحديث المعروف عن النبي ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قالوا: ومارياض الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذكر».

وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا ذكرَ هذا الحديث قال: أما أني لاأعني القُصَّاص، ولكن حِلَق الفِقه، وروي عن أنس معناه أيضاً.

وقال عطاء الخراساني: مَجالِسُ الذكر مجالسُ الحلال والحرام، كيف تشتري وتبيع، وتصلي وتصوم، وتنكح وتطلّق، وتحجّ، وأشباهُ هذا. وكان أبو السوّار العَدَوي في حلْقة يتذاكرون العلم، ومعهم فتى شابٌ فقال لهم: قولوا: سبحان الله والحمدُ لله، فغَضِب أبو السوّار وقال: ويحك في أي شيء كنا إذاً؟!

ومِن مجالسِ الذكر أيضاً: مَجالسُ العلم التي يُذكَرُ فيها تفسيرُ القرآن، وتُروَى فيها سُنّةُ رسولِ الله ﷺ، ويُعلَّمُ فيها الفِقْهُ في الدين. ومَجالِسُهُ أفضلُ من مجالس ذكرِ الله بالتسبيح والتحميد والتكبير، لأنها دائرة بين فرضِ عين أو فرضِ كفاية، والذكرُ المجرّدُ تطوّعٌ محض. ←

Marfat.com

وابذُلِ النصيحةَ للهِ وللمُؤمنين ، وشاوِرْ في أمْرِكَ الذينَ يَخْشَوْنَ اللهَ. قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ﴾ (١) وقال النبي ﷺ : « الدِّينُ النَصيحة » (٢) .

وَاعْلَمْ أنَّ مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ أحَبَّكَ ، وَمَنْ دَاهَنَكَ فقدْ غَشَّكَ ، وَمَنْ لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَتَكَ فَلَيْسَ بِأَخٍ لَكَ . قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رضِيَ اللهُ عنه : لا خَيرَ في قَومٍ لَيْسُوا بِنَاصِحِينَ ، ولا خَيرَ في قَومٍ لا يُحِبُّونَ النَاصِحِينَ .

والمرادُ بهذا أن مجالس الذكر لاتختصُّ بالمجالس التي يُذكر فيها اسمُ الله بالتسبيح والتكبير والتحميد ونحوِه ، بل تَشْمَلُ ماذُكِرَ فيه أمْرُ الله ونهيُه ، وحلالُهُ وحرامُه ، وما يُحبُّه ويرضاه ، فانه ربما كان هذا الذكر أنفعَ من ذلك ، لأن معرفة الحلال والحرام واجبةٌ في الجملة على كل مسلمٍ بحسب مايتعلق به في ذلك .

وأما ذِكرُ الله باللسان فأكثره يكون تطوعاً ، وقد يكون واجباً كالذكر في الصلوات المكتوبة . وأمَّا معرفةُ ما أمَرَ الله به ، وما يُحبُّه ويرضاه وما يكرهه : فيَجِبُ على كلّ من احتاج إلى شيء من ذلك أن يتعلمه ، ولهذا رُوي « طلبُ العلم فريضة على كل مسلم » . انتهى .

(١) الآية (٣٨) من سورة فاطر .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » عن تميم الداري .

Marfat.com

وآثِرِ الصِدقَ في كُلِّ مَوطنٍ تَغْنَمْ ، واعْتَزِلِ الفُضُولَ تَسْلَمْ ، فإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ[1] ، والبِرَّ يَهْدِي إلى رِضَى اللهِ تَعالَى ، والكذبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ ، والفُجُورَ يُورِثُ سَخَطَ اللهِ .

وقال عبدُ اللهِ بن عباس رَضِي اللهُ عنهما : لا تَتَكَلَّمْ فيما لا يَعْنِيكَ ، ولا تَمارِ سَفِيهاً ولا حَلِيماً ، واذكُرْ أخاكَ بِما تُحِبُّ أنْ تُذْكَرَ بِهِ .[2]

واعملْ عملَ رَجلٍ يَعْلَمُ أنَّهُ مُجازَىً بالإحْسانِ ، مَأخُوذٌ بالإجْرامِ ، وأدِمْ شُكْرَكَ ، واقْصُرْ مِنْ أمَلِكَ ، وزُرِ القُبُورَ

---

(١) معنى (يَهدي إلى البِرِّ) : يُوصِل إلى العمل الصالح. رَوَى الحافظ أبو نعيم في ترجمة (مالك بن دينار) في « الحلية » : (٢ / ٣٥٩) عن جعفر بن سليمان الضبعي قال : « سمعتُ مالكَ بن دينار يقول : الصدقُ والكذبُ يعتركان في القلب حتى يُخرِجَ أحدُهما صاحبَه ، وإنَّ الصدق يَبْدو ضعيفاً كما يبدو نباتُ النخلة، يبدو غُصْناً واحدا ، فاذا شَقَّها صبي ذهبَ أصلُها، وإن أكلتْها عَنْزٌ ذهبَ أصلُها ، فتُسقَى فتَنْتَشِر ، وتُسْقَى فتَنْشِر حتى يكون لها أصلٌ أصيل يُوطأ ، وظِلٌ يُستَظَلُّ به ، وثَمرَةٌ يؤكلُ منها .

كذلك الصِّدقُ يبدو في القلب ضعيفاً ، فيتفقَّده صاحبُهُ ويزيده الله تعالى ، ويتفقَّده صاحبه فيزيده الله حتى يَجْعَلَه الله بركةً على نَفْسِه ، ويكون كلامُهُ دواءً للخاطِئين .

قال جعفر : ثم يقول مالكُ بنُ دينار : أما رأيتُموهم ؟ ثم يَرْجِعُ إلى نفسِهِ فيقول : بَلَى واللهِ لقد رأيناهم : الحسنَ البصري ، وسعيدَ بن جبير ، وأشباهَهم ، الرجلُ منهم يُحيي اللهُ بكلامِهِ الفِئَام ـ الجماعات ـ من الناس » .

(٢) جاء في الأصل : (بما يُحبُّ أن يُذكر به) . والمثبت من النسخة المغربية .

Marfat.com

بهَمِّكَ ، وَجُلْ في الحَشْرِ بقَلبكَ [١] . وقالَ أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عنه : اعْمَلْ كَأَنَّكَ تَرى [٢] ، وعُدَّ نَفْسَكَ في المَوْتى ، واعلَمْ أنَّ الشَرَّ لا يُنْسَى ، وَالخيرَ لا يَفْنَى . واعلمْ أنَّ قليلاً يُغْنِيكَ خَيرٌ من كَثيرٍ يُلْهِيكَ . وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ المَظْلُومِ .

ثُمَّ رُمَّ جِهازَكَ [٣] وافْرُغْ مِنْ زَادِكَ [٤] ، وكُنْ وَصِيَّ نفسِكَ ، ولاَ تجْعَلِ الرِّجَالَ أوْصِياءَكَ ، وَاعقِلْ أمْرَكَ ، وتَيَقَّظْ مِنْ سِنَتِكَ [٥] ، فإنكَ مسئُولٌ عن عُمْرِكَ . قالَ أبو أُمَامة رضِيَ اللّٰهُ عنْهُ : لَوْ عَقَلَ ابنُ آدَمَ عنْ رَبِّهِ كَانَ خَيراً لَهُ من جِهَادِهِ .

---

(١) للمؤلّف المحاسبي رحمه الله تعالى كتابٌ نفيسٌ في هذا المعنى ، سمّاه « التوهُّم » ، وهو مطبوع بمصر سنة ١٣٥٦ تحدَّث فيه عن شعور أهل النار وما يَلْقَون قبْلَها وبعد الدخولِ فيها من أهوالٍ وعذاب ، كما تحدَّث فيه عن شعور أهل الجنة وما يجدون قَبْلَها وبعد الدخولِ فيها من نَعيم وتكريم وثواب ، وبيَّن هذا وذاك مَرْحَلةً مرحلة، حتى لكأنك تراهُ رأيَ العين، وتُحِسُّه إحساسَ المباشِرِ له ، واستعرَضَه بلغةٍ عالية مُشرِقة ، وبيانٍ مؤثرٍ بليغ ، يُفيدُ قارئه خشعةً وعِبرة ، ويُورثُه يَقَظةً لعمل الآخرة ، فعليك بقراءته ، والله يتولانا وإياك .

(٢) أي تَرَى الله تعالى .

(٣) أي أصلح ما تحتاج إليه في آخرتك .

(٤) أي أنجِزْ إعداد ما تتزوَّدُ به لآخرتك .

(٥) أي مِن غفلتك ونومك عن الآخرة .

Marfat.com

وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ جَعَلَ هَمَّهُ الآخِرَةَ كَفاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، كَمَا ذُكِرَ في الحديث المرويّ : « تَفَرَّغُوا مِنْ هُمُومِ الدُّنيا مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فإنه مَن كَانَتْ الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّهِ أَفْشَى اللهُ عليه ضَيْعَتَهُ (١) ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عينيه ، ومَن كَانَتِ الآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّهِ جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبِهِ . وَمَا أَقْبَلَ عبدٌ بقلبه إلى اللهِ عزَّ وجلَّ إلاّ جَعَلَ اللهُ قلوبَ المؤمنين تَنْقَادُ إِلَيه بالرَّحْمَةِ وَالمَوَدَّةِ » (٢) .

واحذَرْ يأخي المِراءَ في القرآن ، والجِدالَ في الدين ، والكلامَ في التحديد (١) ، وكنْ من الذين قال الله عز وجل

---

(١) أي كثَّرَ عليه معاشَه ليشغله عن الآخرة . كما في « النهاية » لابن الأثير .

(٢) الحديث رواه السيوطي في « الجامع الصغير » بنحو هـذا اللفظ ، وقال : « رواه الطبراني عن أبي الدَّرْداء » . وجاء في الأصلين : (جمع اللهُ أمرَه) دون لفظ (له) . وجاءت الجملةُ الأخيرة منه في « الجامع الصغير » بلفظ « ... تَفِدُ إليه بالودّ والرحمة » . أي تُسرع . وجاء بعدها : « وكان اللهُ تعالى بكلّ خيرٍ إليه أسْرَع » . قال شارحُهُ المُناوي في « فيض القدير » : (٣ / ٢٦١) : « ضعّفه المنذري . وقال الهيثمي : فيه محمد بن سعيد بن حسان المصلوب ، وهو كذّاب . اهـ . وكذا ذكرَهُ غيرُه » . انتهى كلام المناوي . قلتُ : فعلى هذا يكون الحديث في غاية الضعف .

(٣) هكذا جاء في الأصلين . والمراد به فيما يظهر : ذِكرُ الحدِّ لله تعالى .

Marfat.com

فيهم : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ [١].

والزمِ الأدبَ ، وفارِقِ الهوى والغَضَبَ ، واعمَلْ في أسبابِ التيقُّظِ ، واتَّخِذِ الرِّفْقَ حِزْباً [٢] ، والتَّأَني صَاحِباً ، والسلامةَ كَنَفاً ، والفراغَ غنيمَةً ، والدُّنيا مَطِيَّةً ، والآخِرةَ مَنْزِلاً [٣] . وقال الحسنَ رضي اللهُ عنه [٤] : إنَّ اللهَ تعالى لَمْ يَجْعَلْ لِلمُؤمِنِ راحةً دون الجنة [٥] .

واحذَرْ مواطِنَ الغفلة ، ومَخَاتِلَ العَدُوِّ [٦] ،وطَرَبَاتِ الهَوَى، وضَراوةَ الشهوة ، وأمانيَّ النَّفْس ، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: « أعدى أعدائِكَ نفسُكَ التي بين جَنْبَيكَ » [٧] . وإنما صَارتْ

---

(١) الآية (٦٣) من سورة الفرقان .
(٢) أي دَيْدَناً ووظيفة .
(٣) وقع في الأصلين : (منهلاً). وهو تحريف عما أثبتُه .
(٤) هو : الحسنُ البصريُّ التابعيُّ سيدُ الزُّهَّادِ والعُبَّاد في عصره.
(٥) وكان مالك بن دينار يقول : « عُرْسُ المتقين يوم القيامة » .
كما في « الحلية » لأبي نعيم (٢ / ٣٨٠) .
(٦) أي مَخَادِعَه . ووقع في الأصلين : (مخايل العدوّ) . وهو تحريف.
(٧) وقع في النسخة المغربية : (أعدى أعادياك) في الموضعين .
والحديث رواه البيهقي في « كتاب الزهد » باسناد ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس . ويجري على ألسنة كثيرين : أعدى عَدُوَّيْك ، بالتثنية . ولا أصل له بهذا اللفظ ، والمشهور على الألسنة : أعدى عَدُوِّك ، بالافراد =

Marfat.com

أعدى أعدائِكَ لِطَاعتِكَ لَهَا .

وكلُّ أمرٍ لاحَ لكَ ضَوْءُهُ بمنهاج الحقّ ، فاعرِضْهُ عَلَى الكتاب والسُنَّة والآدابِ الصالحة [1] ، فإنْ خَفِي عليكَ أمرٌ فَخُذْ فيه رأيَ مَنْ تَرْضَى دِينَه وعَقْلَهُ .

= أفاده العلامة العجلوني في « كشف الخفاء ومُزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » : (١ / ١٤٣) .

وقال الحافظ العراقي في « تخريج أحاديث الاحياء » أوائل كتاب عجائب القلب (٨/٧) : « أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس ، وفيه : محمد بن عبد الرحمن بن غَزْوان ، أحَدُ الوضّاعين ! » . انتهى . وقال الزبيدي في « شرح الاحياء » : (٧ / ٢٠٦) عقبَ كلام العراقي : « ووجدتُ بخط الحافظ ابن حجر مانَصُّهُ : وللحديث طرق أخرى غير هذه من حديث أنسٍ وغيرِه » .

(١) قال الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه : « كشف الغُمَّة » : (١ / ١٠) : « كلُّ طريقٍ لم يَمْشِ فيه الشارعُ ﷺ فهو ظلام ، ولا يكون أحدٌ ممن مَشى فيه على يقينٍ من السلامةِ وعدَمِ العَطَب » . وقال رحمه الله تعالى : « دُورُوا مع الشرع كيف كان ، لامع الكشفِ فانه يُخطىء . وينبغي إكثارُ مطالعةِ كتب الفقه ، عكسُ ماعليه المتصوِّفةُ الذين لاحَتْ لهم بارقةٌ من الطريق فَمَنعوا مطالعة الفقه ! وقالوا : إنه حجابٌ جهلاً منهم ! ! » . نقله ابنُ العماد الحنبلي في « شَذَرات الذهب » في ترجمة الشعراني : (٨ / ٣٧٤) .

وقال الامام الغزالي في الاحياء (١ / ٣٧ - ٣٨) : « قال الجنيد رحمه الله قال لي السَّرِيُّ شيخي يوماً : إذا قمتَ من عندي فمن تجالس؟ قلتُ : المُحاسِبيَّ ، فقال : نِعْمَ ، خُذْ مِن علمِهِ وأدبِه ، ودَعْ عنك

Marfat.com

واعـــلمْ أنَّ على الحقِّ شاهداً بقبولِ النَّفْسِ لَهُ . ألا تَرى

تشقيقَه الكلام ورَدَّه على المتكلّمين . ثم لما ولَّيتُ سمعتهُ يقول : جَعَلَك الله صاحبَ حديث صُوفيّاً ، ولا جَعَلك صُوفيّاً صاحبَ حديث » .

قال الغزاليّ : أشار إلى أن من حصَّل الحديث ـ أي العلم ـ ثم تصوَّف أفلح ، ومن تصوَّف قبل العِلم خاطَرَ بنفسه » .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في كتابه : «شرح حديث العلم » (ص١٦) : « وكثيرٌ ممن يدَّعي العلم الباطن ويتكلّم فيه ويقتصرُ عليه : يَذمُّ العِلمَ الظاهر الذي هو الشرائع والأحكام والحلال والحرام ، ويطعنُ في أهله ويقول : هم محجوبون وأصحاب قشور !

وهذا يُوجبُ القدحَ في الشريعة المطهرة والأعمالِ الصالحة التي جاءت الرسلُ بالحثّ عليها والاعتناءِ بها ، وربما انحلَّ بعضُهم عن التكاليف وادَّعَى أنها للعامة ، وأمَّا من وَصَل فلا حاجة به إليها وأنها حجاب له!

وهؤلاء كما قال الجُنَيد وغيرُه من العارفين : وصَلُوا ولكن إلى سَقَر . وهذا مِن أعظم خِداعِ الشيطان وغروره لهؤلاء ، لم يزل يتلاعب بهم حتى أخرجهم عن الاسلام .

ومنهم من يظنُّ أن هذا العلم الباطن لا يُتلَقّى من مشكاة النبوة ، ولا من الكتاب والسُّنَّة ! وإنما يُتَلقَّى من الخواطر والالهامات والكشوفات !! فأساؤا الظنَّ بالشريعة الكاملة ، حيث ظنُّوا أنها لم تأتِ بهذا العلم النافع الذي يُوجبُ صلاحَ القلوب وقُرْبَها من علام الغيوب ! وأوجَبَ ذلك لهم الاعراضَ عما جاء به الرسول ﷺ في هذا الباب بالكليَّة ! والتكلُّمَ فيه بمجرَّد الآراء والخواطر ، فضَلُّوا وأضلُّوا » .

Marfat.com

لِقَولِ رسول الله ﷺ : « استفتِ قَلبَكَ وإِنْ أفتَاكَ المُفْتُونَ »[1].

---

(١) رواه بهذا اللفظ البخاري في « التاريخ الكبير » عن الصحابي الجليل وابِصة بن مَعْبَد الأسَدي رضي الله عنه ، كما في « الجامع الصغير » للسيوطي ، وذكَره النووي في « الأربعين حديثاً » تحت عنوان (الحديث السابع والعشرون) بأتمَّ من هذا اللفظ ، وقال : « حديثٌ حسن ، رَوَيناه في مُسْنَدَي الامامين أحمد بن حنبل والدارمي باسنادٍ حسن ».

قال الامام الغزالي في « الاحياء » : (٥/ ٦) عند هذا الحديث : « **وما أعزَّ مثلَ هذا القاب** ؟ ولذلك لم يَرُدَّ عليه السلام كلَّ أحدٍ إلى فتوى القلب ، وإنما قال ذلك لوابِصَة لِما كان قد عَرَف مِنْ حالِه ».

قال العلامة المُناوي في « فيض القدير شرح الجامع الصغير » : (١/ ٤٩٥) : « قال بعضُ العلماء : وبفَرْضِ عمـوم الخطاب في هذا الحديث فالكلامُ فيمن شَرَح الله صدرَه بنور اليقين ، فأفتاه غيرُه بمجرَّد حَدْسٍ أو مَيْل ، من غير دليلٍ شرعي ، وإلا لَزِمَه اتِّباعُه وإن لم يَشرَح له صَدْرُه ، انتهى ».

وقال الحافظ ابنُ رجب في « جامع العلوم والحِكَم » : (ص ٢٢١-٢٢٢) : « وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الله فَطَرَ عبادَه على معرفةِ الحق والسُّكونِ إليه وقبولِه ، وركَّزَ في الطباع محبَّةَ ذلك والنفورَ عن ضدِّه ، ولهذا سمَّى سبحانه ماأمَرَ به (معروفاً) وما نهَى عنه (منكراً) ، وأخبَرَ أنَّ قلوب المؤمنين تطمئنُّ بذكره . فدَلَّ حديثُ وابِصَة على الرجوع إلى القلب عند الاشتباه ، فما سَكَنَ إليه القلبُ وانشرح إليه الصدرُ فهو البِرُّ والحلال ، وما كان خلافَ ذلك فهو الاثمُ والحرام ».

وقال العلامة ابنُ حجر الهيتمي المكي في « الفتح المبين بشرح

Marfat.com

وَقيّدِ الجوارِحَ بإحكامِ العِلْمِ ، وراعِ هَمَّكَ بمَعْرِفَةِ قُرْبِ اللهِ مِنكَ ، وَقُمْ بينَ يَديهِ مقامَ العَبدِ المستَجيرِ : تجِدْهُ رَؤُوفاً رَحيماً . قال رسول الله ﷺ : « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنزِلُ العَبْدَ مِنْ نفسِهِ بِقَدْرِ مَنزِلَتِهِ مِنهُ »[1] . وذلكَ عَلَى قدرِ الخشية للّه ، والعلمِ به ، والمعرفةِ لَهُ .

الأربعين » : (ص ١٩٢) : « وفي جوابِهِ ﷺ لوابِصَةَ بهذا : إشارةٌ إلى متَانةِ فهمه ، وقوَّةِ ذكائه ، وتنويرِ قلبه ، لأنه ﷺ أحاله على الادراك القلبي ، وعَلِمَ أنه يُدرِكُ ذلك مِنْ نفسه ، إذ لا يُدرِكُ ذلك إلا مَنْ هو كذلك . وأمَّا الغليظُ الطبعِ ، الضعيفُ الادراكِ فلا يُجابُ بذلك ، لأنه لا يتحصَّلُ منه على شيء ، وإنما يُفصَّل له ما يَحتاجُ إليه من الأوامر والنواهي الشرعية . وهذا مِن جَميلِ عاداتِهِ ﷺ مع أصحابه ، فانه ﷺ كان يخاطبهم على قَدْرِ عقولهم ، ومِن ثَمَّ قالتْ عائشةُ رضي الله عنها : أمَرَنا رسولُ الله ﷺ أن نُنْزِلَ الناسَ مَنَازلهم » .

(١) هو جزء من حديثٍ وردَ في فضل ذكرِ الله عز وجل بنحو هذا اللفظ ، وأوَّلُه عن جابر مرفوعاً : « يا أيها الناس إنَّ لله سرايا من الملائكة تحِلُّ وتقفُ على مجالس الذكر في الأرض ... إن الله يُنزِلُ العبدَ منه حيث أنزلَهُ مِن نفسه » . قال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » : (٣/٦٥) و (٥/٥٣٤) : « رواه ابنُ أبي الدنيا وأبو يعلى والبزار والطبراني والبيهقي والحاكم وقال : صحيحُ الاسناد . وفي أسانيدهم

Marfat.com

واعلم أنَّ منْ آثَرَ اللهَ آثره [١]، ومن أطاعه فقد أحبَّـه ومَنْ تَرَكَ له شيئاً لم يُعَذِّبْـهُ به ، كما قال رسول الله ﷺ : « دعْ ما يريبُـك إلى مالا يَريبُـك » [٢] . فإنك لن تجد فَقْدَ شيءٍ تركتَهُ للّٰه .

كلّـها عُمَرُ مولى غُفرة ، ضعّفه ابنُ مَعين والنّسائي ، وقال أحمد : ليس به بأس ، لكن أكثر حديثه مراسيل ، وقال ابن سعد : ثقة كثير الحديث . وبقيةُ أسانيدهم ثقات مشهورون محتجّ بهم ، والحديثُ حَسَن والله أعلم » . انتهى .

قلت : قال الحافظ الذهبي في « تلخيص المستدرك » : (٤٩٥/١) بعد رواية الحاكم له وقولِهِ : صحيحُ الاسناد . : « قلتُ :عُمر ضعيف» .

وقال الذهبي أيضاً في « الميزان » في ترجمة (عمر) : (٢٦٤/٢) بعد أن ساق ما نقله المنذري فيه : « وقال ابنُ حِبّان : كان ممن يقلِبُ الأخبار ، يروي عن الثقات ما لا يُشبه حديثَ الأثبات ، لا يجـــوز الاحتجاجُ به ، ولا ذِكرُهُ في الكتب إلا على جهة الاعتبار ». ثم ساق الحديث المذكور مساق الشاهد لقول ابن حِبّان فيه .

وقال الحافظ ابن حجر في « التقريب » : « عُمر بن عبـــدالله المدني مولى غُفْرة : ضعيف ، وكان كثير الارسال » . انتهى .فالحديثُ ضعيف ، وتحسينُ الشيخ المنذري له غيرُ حَسَن ، والله أعلم .

(١) أي من قدَّمَ طاعةَ الله على حظِّ نفسه اختصَّه الله بالقُرْب منه والرضى عنه .

(١) جاء في الأصلين : (قال : دَعْ ...) . وهـذه الجملة حديث شريف رواه الامام أحمد في « مسنده » عن أنس ، والنسائي في « سننه »=

Marfat.com

واحْمِ القلبَ عن سُوءِ الظنّ بحُسْنِ التأويل ، وادفعِ الحَسَدَ بقِصرِ الأمَل ، وانْفِ الكِبرَ باستبطان العِزّ [(١)] ، واترُكْ كلَّ فعلٍ يَضطرُّك إلى اعتذار ، وجانِبْ كلَّ حالٍ يَرمِيك في التكلُّف ، وصُنْ دِينَك بالاقتداء ، واحفَظْ أمانَتَك بطَلَب العِلْم ، وحَصِّنْ عقلَك بآدابِ أهلِ الحِلْم ، واستعِدَّ الصَّبْرَ لكلِّ موطن ، والزَمِ الخلوةَ بالذِّكْرِ [(٢)] ، واصحَبِ النِّعَمَ بالشُّكْر .

واستعِنْ بالله في كلِّ أمرٍ ، واستَخِرِ اللهَ في كلِّ حال ، وما أرادَكَ اللهُ لَهُ فاترُكِ الاعتراضَ فيه ، وكلُّ عَمَلٍ تُحبُّ أنْ تَلْقَى اللهَ به فألزِمْهُ نَفْسَكَ ، وكلُّ أمرٍ تكرهه لِغَيرِكَ فاعْتَزِلْهُ مِنْ أخلاقِكَ . وكلُّ صاحبٍ لا تَزدَادُ به خَيراً في كُلِّ يَومٍ فانْبِذْ عنكَ صُحْبَتَهُ . وخُذْ بِحَظِّكَ مِنَ العَفوِ والتَّجاوُزِ .

= عن الحسن بن علي ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » عن ابن عُمرَ باسنادٍ حسن ، وله شواهد تُرقّيه إلى الصحة . أفاده المُنَاوي في شرحه الصغير المسمّى :« التيسير بشرح الجامع الصغير » : (٢/٧) .

(١) وقع في الأصل : (بلسطان) . وجاء في النسخة المغربية : (بـ بسلطان) . وكلاهما تحريف .

(٢) أي اذْكُر الله تعالى خالياً منفرداً ، فانّ ذلك أبعد عن الرياء وأرجى للقبول من الله تعالى ، فـــي حديث السبعة الذين يُظِلّهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامة : « ورجلٌ ذكَرَ اللهَ خالياً ... » .

Marfat.com

واعْـلَمْ أنَّ المؤمِنَ يُخْتَبَرُصِدْ قهُ في كُلّ حَال ، مُطَّلَبٌ نفسُهُ بالبَـلْوَى [١] ، رقيبٌ للهِ عَلَى نَفْسِه . فاثْبُتْ عَلَى مَحَجَّةِ الحق فإنكَ مُرَادُ الْعَوْنِ ، واصْدُقْ في الطَّلَبِ تَرِثْ عِلْمَ البصائر ، وتبدو لَكَ عيونُ المعارف ، وتَمَيَّزْ بنَفْسِكَ عِلْمَ ما يَرِدُ عليكَ بخَالِصِ التوفيق ، فإنما السَّبْقُ لمنْ عَمِلَ ، والخشيةُ لمنْ عَلِمَ ، والتوكّلُ لمنْ وَثِقَ ، والخوفُ لمنْ أيقَنَ ، والمَزِيدُ لمنْ شَكَرَ .

واعْـلَمْ أنَّ ما يَصِلُ العبدُ إلَيه منَ الفهمِ : بقَدْرِ تقديمِ عَقْلِهِ [٢] وموجودِ علْمِهِ بتقواه للهِ وطاعَتِه . فَمَنْ وَهَبَ اللهُ لَهُ العَقْلَ ، وأَحْيَاهُ بالعِلْمِ بعدَ الإيمانِ ، وبَصَّرَهُ باليقينِ عيوبَ نفسه : فقدْ نُظِمَتْ لَهُ خِصَالُ البِرِّ ، فاطْلُبِ البِرَّ في التقوى ، وخُذِ العِلْمَ منْ أهلِ الخَشْيَةِ ، واستَجْلِبِ الصِّدقَ بمَباحث الصدق في مواطن التفكّرِ . قالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ : ﴿ وكذلكَ نُرِي إبراهيمَ ملكوتَ السمواتِ

---

(١) هكذا جاء مشكولاً في الأصل ، ومعناه ـ على مايظهر ـ أنَّ المُؤمِنَ تُقصَدُ نفسُه بالابتلاء والاختبار . وجاء في النسخة المغربية : (يَطلبُ نفسَه بالبلوى) . أي يَمتحِنُ نفسَه بالصبر على البلوى . والله أعلم .

(٢) أي بقدر مايؤثِرُ عقلَهُ على هواه وحظوظِ نفسِه . وجاء في النسخة المغربية : (بقدر تقديم عَمَلِه) .

Marfat.com

والأَرضِ ولِيكونَ منَ المُوقنينَ ﴾[1].وقالَ رسولُ الله ﷺ :
« تَعَلَّمُوا اليقينَ فإني أَتَعَلَّمُهُ »[2] .

واعْلم أنَّ كلَّ عَقْلٍ لا يَصحَبُهُ ثلاثةُ أشياءَ فهو عَقْلٌ مَكَّارٌ[3] : إيثَارُ الطاعةِ عَلَى المعصية ، وإيثَارُ العِلمِ عَلَى الجهلِ ، وإيثَارُ الدّينِ على الدُّنْيا ، وكلَّ عِلمٍ لاَ يَصْحَبُهُ ثَلاثَةُ أشياءَ فهو

---

(١) الآية (٦) من سورة الأنعام .
(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » : (٩٥/٦) عن ثور بن يزيد مرسلاً ، بلفظ : « تعلموا اليقين ، كما تعلَّموا القرآن ، حتى تعرفوه ، فاني أتعلَّمُه » وفي سنده : بقيةُ بن الوليد الحمصي ، وهو معروف بالتدليس، وقد عنعن ، وشيخُه العباسُ بن الأخنس السَّكْسَكي قال عنه الذهبي في الميزان: إنه مجهول . فالحديثُ ضعيفٌ واهٍ ، ومعناه غريب ، وفيه وقفة نَحْوية في « كما تعلَّموا » لحذفِ النون مع أنه في حالة الرفع ! . ثم رأيتُ الحافظَ العراقيَّ أورده في « تخريج أحاديث الاحياء » : (١/ ١٢٣) وقال : « أخرجه أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا ، وهو مُعْضَلٌ ، ورواه ابنُ أبي الدنيا في « اليقين » من قولِ خالدبن مَعْدان» انتهى . وهو أقربُ إلى الصواب . قال الامام الغزالي : ومعنى قولِه « تعلَّموا اليقين » : جالِسُوا الموقنين ، واستمعوا منهم عِلْمَ اليقين ، وواظِبُوا على الاقتداءِ بهم ليقوى يقينُكم كما قوِيَ يقينُهم .
(٣) أي عَقْلٌ مُخادِعٌ يُزيّنُ لصاحبه الشرَّ خيراً . ووقع في الأصلين : (فهو عقل مكاد) أي بالدال المهملة . وهو تحريف .

Marfat.com

مَزِيدٌ في الحُجَّةِ : كَفُّ الأَذَى بقطعِ الرَّغْبَةِ ، ووُجُودُ العَمَلِ بالخشية ، وبَذْلُ الإنصافِ بالتباذُلِ والرَّحْمَة .

واعْلَم أَنَّهُ ما تَزَيَّنَ أَحَدٌ بزينةٍ كالعَقْلِ [1] ، ولا لَبِسَ ثَوباً أَجْمَلَ مِنَ العِلمِ [2] ، لأَنهُ ما عُرِفَ اللّهُ إلاَّ بالعَقلِ ، ولا أُطِيعَ إلاَّ بالعِلمِ [3] .

---

(١) ولهذا قال التابعي الجليل عُرْوَة بن الزُّبَير رحمه الله تعالى: أفضَلُ ماأعطِيَ العبادُ في الدنيا العَقْلُ ، وأفضَلُ ماأعطوا في الآخرة : رضوانُ الله عزَّ وجلَّ . كما في كتاب « العقل وفضله » لابن أبي الدنيا : (ص ١٣) .

(٢) قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : « لو كان للعلمِ صورةٌ لكانت صورتُهُ أحسَنَ من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء . وقال مُعاذُ بن جبل رضي الله عنه : العلمُ حياةُ القلوب من الجهل ، ومصباحُ الأبصار من الظلمة ، وقوَّةُ الأبدان من الضعف ، يَبْلُغُ بالعبد مَنازِلَ الأحياء والأبرار ، والدرجاتِ العُلى في الدنيا والآخرة . والتفكُّرُ فيه يَعْدِلُ الصيامَ ، ومذاكرته تَعْدِلُ القيام ، وبه تُوصَل الأرحام ، ويُعرَفُ الحلالُ من الحرام . وهو إمامٌ والعملُ تابِعُهُ ، ويُلهَمُهُ السُّعَداء ، ويُحرَمُهُ الأشقياء » . نقله الحافظ ابن رجب في « شرح حديث العلم » : (ص ٣٣ و ٣٥) .

(٣) هذا من المؤلّف أبي عبدالله المحاسبيّ يُفيدُ أنَّ العقلأفضَلُ من العلم ، وهو الحقُّ ، وفضَّلَ بعضُهم العلمَ على العقل ، وأدارَ بينهما حِواراً لطيفاً ، أبدى فيه كلٌّ منهما فَضلَه على الآخر فقال :

Marfat.com

واعْـلم أَنَّ أهلَ المعرفةِ باللهِ بَنَوا أصُولَ الأَحوالِ على شَاهِدِ العِلْمِ [١] ، وتَفَقَّهُوا في الفروع ، [٢] أَلا تَرَى لِقَول، النبي ﷺ : « مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ ، وَرَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ » [٣] . وعلامةُ

عِلْمُ العليمِ وعَقْلُ العاقلِ اختَلَفا من ذا الذي منهما قد أحرَزَ الشَّرفا؟
فالعلمُ قال : أنا أحرزتُ غايَتَه والعقلُ قال : أنا الرحمنُ بنُ عرِفَا
فأفصَحَ العلمُ إفصاحاً وقال له : بأيّنا اللهُ في فُرْقانه اتَّصَفا ؟
فبان للعقلِ أنَّ العِلْمَ سَيِّدُهُ فقبَّل العَقلُ رأسَ العلمِ وانصرفا

وقد فات هذا القائلَ : أنَّ العقل منبعُ العلمِ وأصلُه ، وأنَّ العلم يجري من العَقْل مجرى النُّور من الشمس والرُّؤية من العَيْن: « إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون » .

(١) وقع في الأصلين : (بينوا أصول الأحوال على شاهد العلم) .

(٢) سبق تعليقاً في (ص ٤٨-٤٩) عن الشيخ الشعراني والحافظ ابن رجب الحنبلي كلامٌ يتصل بوجوب التزام جانب العلم الذي هو الكتابُ والسُّنَّة ، والحلالُ والحرام ... فانظره .

(٣) هذا ليس بحديث ، وإنما هو - فيما يُروَى - من كلامِ عيسى بن مريم عليه السلام . قال الحافظ أبو نُعيم في « الحلية » : (١٥/١٠) بعد أن ساقه بسنده مرفوعاً ما نصُّهُ « ذكر أحمدُ بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام ، فتوهمَ بعضُ الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فوَضَعَ هذا الاسنادَ عليه » انتهى . وقولُ الحافظ العراقي في « تخريج أحاديث الاحياء » : (١٢٢/١) : أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنسٍ وضعّفه » : فيه قصور ، إذ لم يُضَعّفه أبو نعيم بل قال بوَضْعِ سنده، كما سبَق نصُّ عبارته .

Marfat.com

ذَلِكَ هو تَزايُدُ العِلْمِ بالإشفاقِ، ومزِيدُ العلمِ بالاقتدار، فكُلَّمَا ازدَادَ عِلماً ازدَادَ خَوفاً، وكُلَّمَا ازدَادَ عَمَلاً ازدَادَ تواضُعاً [1].

والأَصلُ الذي بَنَوا بهِ في طَريقِهِمْ [2]: الْتِزَامُ الأَمرِ بالمعروفِ والنَهيِ عَنِ المُنْكَرِ بالصدْقِ، وتَقْدِيمُ العِلْمِ عَلَى حُظُوظِ النفوس، والاستِغْنَاءُ باللهِ عنْ جَمِيعِ خَلقِهِ [3].

فاطْلُبْ آثَارَ مَنْ زَادَهُ العِلْمُ خشيةً، والعَمَلُ بصيرَةً، والعَقْلُ مَعْرِفَةً، فإِنْ حَجَبَكَ عنْ مِنْهَاجِهِمْ فَقْدُ الأَدَبِ، فارْجِعْ بالذَمِ عَلَى نَفْسِكَ، ولَنْ يَخْفَى عَلَى أَهْلِ العِلْمِ صِفَةُ المُخْلِصِينَ.

واعْلَمْ أَنَّ في كلِّ فِكْرَةٍ أَدَباً، وفي كلِّ إِشارَةٍ عِلْمًا، وإِنَّمَا يُمَيِّزُ ذَلِكَ مَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُرَادَهُ، وَجَنَى فوائِدَ اليقينِ مِنْ خِطَابِهِ.

---

(١) وقع في الأصل: (وكلَّما ازداد عِلماً ازداد تواضعـاً). وهو سهو من الناسخ.

(٢) وقع في الأصلين: (والأصلُ الذي بينوا...) ولفظ (به) غير موجود في النسخة المغربية.

(٣) وقع في الأصل: (والاشتغـال بالله عن جميـع خلقه). وهو تحريف.

Marfat.com

وعلامةُ ذلكَ في الصادِقِ : إِذَا نَظرَ اعْتَبرَ ، وَإِذَا صَمتَ تَفكَّرَ ، وَإِذَا تَكلَّمَ ذَكَرَ ، وَإِذَا مُنِعَ صَبَرَ ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا ابتُلِيَ اسْتَرْجَعَ ، وَإِذَا جُهِلَ عليه حَلُمَ ، وَإِذَا عَلِمَ تَوَاضَعَ ، وَإِذَا عَلَّمَ رَفَقَ ، وَإِذَا سُئِلَ بَذَلَ ، شفاءٌ لِلقاصد ، وعَونٌ لِلمُستَرْشِدِ ، حَلِيفُ صِدْقٍ ، وكَهْفُ بِرٍّ ، قَرِيبُ الرِّضَى في حَقِّ نَفْسِه ، بعيدُ الْهِمَّةِ في حَقِّ اللهِ تَعَالَى، نِيَّتُه أَفْضَلُ مِنْ عَمَلِهِ ، وَعَمَلُهُ أَبلَغُ مِنْ قَوْلِهِ ، مَوْطِنُهُ الحقّ ، وَمَعْقِلُهُ الحَيَاءُ ، وَمَعْلُومُه الوَرَعُ ، وَشَاهِدُهُ الثِّقَةُ ، لَهُ بصَائِرُ مِنَ النُّورِ يُبْصِرُ بِهَا ، وحَقَائِقُ مِنَ العِلْمِ يَنْطِقُ مِنْهَا ، وَدَلَائِلُ مِنَ اليقينِ يُعَبِّرُ عَنْهَا .

وَإِنَّما يُواصِلُ بِذَلكَ مَنْ جَاهَدَ لِلّهِ تَعَالَى نَفسَه ، واستَقَامَتْ لِطَاعتِهِ نِيَّتُهُ ، وخَشِيَ اللهَ في سِرِّه وَعَلَانِيَتِهِ ، وَقَصَّرَ الأَمَلَ ، وَشَمَّرَ مِئْزَرَ الحَذَرِ ، وَأَقْلَعَ بِرِيحِ النَجَاةِ في بَحرِ الابتِهَالِ ، فأوقاتُهُ غَنِيمةٌ ، وأحوالُه سَلِيمَةٌ ، لَمْ يَغْتَرَّ بزُخْرُفِ دَارِ الغُرورِ ، ولم يَلْهُ بِبَرِيقِ سَرَابِ نَسِيمِهَا عَنْ أَهْوالِ يَوْمِ النُّشُورِ (١) .

---

(١) جاء في الأصلين : (ولم يله ببريق شراب نسيمها) . والظاهر أنه تحريف .

Marfat.com

واعْـلمْ أنَّ العاقلَ لَمَّا صَحَّ عِلْمُهُ وثَبَتَ يَقِينُهُ : عَلِمَ أن لا يُنْجِيهِ مِنْ رَبِّهِ إلاَّ الصِّدقُ ، فسَعَى في طَلَبِهِ ، وبَحَثَ عَنْ أخْلاقِ أهْلِهِ رغبةً في أنْ يَحْيَى قبلَ مَمَاتِهِ [1] ، لِيَسْتَعِدَّ لِدارِ الْخُلودِ بَعْدَ وفاتِهِ ، فباعَ نَفسَهُ ومَالَهُ مِنْ رَبِّهِ حيثُ سَمِعَهُ يَقُول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [2] . فعَلِمَ بَعْدَ الجَهْلِ ، واستَغْنَى بَعْدَ الفَقْرِ ، وأَنِسَ بَعْدَ الوَحْشَةِ ، وقَرُبَ بَعْدَ البُعْدِ ، واستَرَاحَ بَعْدَ التَّعَبِ ، فَائْتَلَفَ أمْرُهُ ، واجْتَمَعَ هَمُّهُ .

فَشِعَارُهُ الثِّقَةُ ، وحَالُهُ المُرَاقَبَةُ ، ألا تَرى لِقَول رسول الله ﷺ : « اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنهُ يَرَاكَ » [3] .

---

(١) كذا جاء في الأصلين . ولعلَّ معناه : أن يَغتنم حياتَه قبل مماته ؟ عملاً بالحديث « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتَك قبل موتك ...» .

(٢) الآية (١١١) من سورة التوبة .

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في « الحلية » : (٢٠٢/٨) عن زيد بن أرقم مرفوعا ، وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » معزواً لأبي نعيم ، وقال شارحه المُناوي في شرحه الصغير : « التيسير بشرح الجامع الصغير » : (١٦٧/١) إنه بهذا اللفظ حديث حَسَن لاعتضاده بحديث آخر . والجملةُ المذكورةُ منه هنا جاءت بنحو هـــذا اللفظ في « صحيح مسلم » في حديث سؤال جبريل عن الاحسان .

Marfat.com

يَحسَبُهُ الجاهِلُ صِمِّيتاً عَيِيّاً [1] ، وحِكْمَتُهُ أصْمَتَتْهُ ، وَيَحسَبُه الأَحْمَقُ مِهذَاراً ، والنَّصِيحَةُ للهِ أنْطَقَتْهُ . وَيَحْسَبُهُ غَنِيًّا ، والتَّعَفُّفُ أَغْنَاهُ ، وَيَحْسَبُهُ فَقِيراً ، والتَّوَاضُعُ أُدنَاهُ . لا يَتَعَرَّضُ لَمَا لا يَعْنِيهِ ، وَلَا يَتَكَلَّفُ فَوْقَ مَا يَكْفِيهِ ، ولا يَأخُذُ مَا لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ إِلَيهِ ، ولا يَدَعُ مَا وُكِّلَ بِحِفْظِهِ ، النَاسُ منهُ في رَاحَةٍ ، وهو مِنْ نَفْسِهِ في تَعَبٍ ، قَدْ أَمَاتَ بالوَرَعِ حِرْصَهُ ، وَحَسَمَ بالتُّقَى طَمَعَهُ ، وَأَفْنَى بِنُورِ العِلْمِ شَهَوَاتِهِ ، فهكَذَا فكُنْ ، ولِمِثْلِ هَؤُلاءِ فاصْحَبْ [2] ،

---

(١) جاء في الأصل هكذا : (صحيا) . وجاء في النسخة المغربية : (محيا) . وأقربُ ما يُفهم من رسم هذين اللفظين ما أثبت، والله أعلم بالصواب .

(٢) وإذا فَعلْتَ ذلك عُدِدْتَ منهم ، فقد جاء في الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » : (١٤/١٧) : أنَّ لله ملائكةً يطوفون في الأرض ، فاذا صَعِدوا إلى السماء سألَهم الله تعالى وهو أعلمُ بهم : « مِن أينَ جئتُم ؟ فيقولون : جئنا مِن عندِ عِبَادٍ لك في الأرض ، يُسبِّحونَك ، ويُكبِّرونَك ، ويُهلِّلونَك ، و يحمَدُونك ، ويَسألونك، ويستغفرونك ، فيقول : قد غَفَرْتُ لهم ، وأعطيتُهم ما سألوا ، وأجَرتُهم مما استجاروا ، فيقولون : رَبِّ فيهم فلانٌ عَبْدٌ خطَّاء ، إنما مَرَّ فجلَسَ مَعَهم ، فيقول : ولهُ غَفَرْتُ ، هُمُ القومُ لا يَشقَى بهم جَليسُهم » .

ومِن أجلِ هذا قال الشاعر الحكيم : =

Marfat.com

ولآثَارِهِمْ فاتْبَعْ ، وبأخْلاقهمْ فتَأَدَّبْ ، فهؤلاء الكَنْزُ المأمون ، بائِعُهُمْ بالدُّنيا مَغْبُون (١) ، وهمْ العُدَّةُ في البَلاء ، والثِّقَاتُ من الأَخِلَّاء ، إِنِ افْتَقَرْتَ أَغْنَوْكَ ، وإنْ دَعَوا الربَّ لَمْ يَنْسَوْكَ ﴿ أولَئِكَ حِزْبُ اللهِ ألا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ ﴾ (٢) .

واعْلَمْ - وسَّعَ اللهُ بالفهم قلبكَ ، وأَنارَ بالعلم صَدْرَكَ ، وجَمَعَ باليقين هَمَّكَ - أني وجدتُ كُلَّ بلاءٍ داخلٍ عَلَى القلب - ضَرُورَةً (٣) - مِنْ نَتَائِجِ الفُضُول ، وأَصْلُ ذلكَ الدُّخولُ في الدنيا بالجهلِ ونسيانِ المَعَادِ بعدَ العِلْمِ . والنَجَاةُ مِنْ ذلكَ تَرْكُ كُلِّ مَجْهُولٍ في الوَرَع ،

= بعِشْرَتِكَ الكِرامَ تُعَدُّ مِنهم ... فلا تُرَيَنْ لِغيرِهِمُ أَلُوفَا

ولشيخ شيوخنا العلامة الشيخ بشير الغَزّي الحلبي رحمه الله تعالى أبياتٌ لطيفة ، أصلُها بالفارسية ، فنَظَمها بالعربية ، وزادها رِقَّةً وذَوْقاً فقال على لسان « التُّرابة الحَلَبِيَّة » المعروفة عند العامَّة باسم (بيلون بوَرْد) :

رأيتُ الطينَ في الحمَّام يوماً ... بكفِّ الحِبِّ أثَّرَ ثم نَسَّم
فقلتُ له : أمسكٌ أم عَبيرٌ ؟ ... لقد صيَّرتني بالحِبِّ مُغْرَمْ
أجاب الطينُ أني كنتُ تُرْباً ... صَحِبتُ الوَرْدَ صيَّرني مُكرَّمْ
أَلِفْتُ أكابراً وازددتُ علماً ... كذا مَنْ عاشَرَ العُلماءَ يُكْرَمْ

(١) أي : لو حصَّل الانسانُ الدنيا وفاتَه صُحبةُ هؤلاء فهو مغبون مخدوع في رضاه بالدنيا بدلاً عنهم .
٢ : الآية (٢٢) من سورة المجادِلة .
(٣) أي قطعاً ويقيناً .

Marfat.com

وأخْذُ كُلِّ معلومٍ في اليقين.

وَوَجدتُ فسادَ القلب فسادَ الدين، أَلا تَرَى لقول رسول الله ﷺ: «ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْب»[1]. ومعنى الجسَد - ههنا -: الدِّينُ[2]، لأَنَّ بالدِّينِ صَلاحَ الجَوارِح وفَسَادَها.

وأصْلُ فَسادِ القَلْبِ تَرْكُ المحاسبة للنَّفْس، والاغْتِرَارُ بطُولِ الأَمَلِ، فإذَا أَرَدْتَ صَلاحَ قَلبِكَ فَقِفْ مَعَ الإرادةِ، وعِنْدَ الخواطِرِ، فَخُذْ ما كَانَ لِلّهِ، ودَعْ ما كَانَ لِغَيْرِهِ[3]، واستَعِنْ عَلَى قَصرِ الأَمَلِ بِدَوامِ ذِكْرِ الموتِ.

---

(١) هو بعضُ حديث رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصلين. وفي هذا التفسير غرابةٌ وبُعْدٌ شديد، فانَّ الحديثَ ظاهِرٌ في إرادةِ الجَسَد الحقيقي.

(٣) قال الشيخ الفقيه الصالح أحمد بن رسلان في آخر «متن الزُّبَد»:

وزِنْ بوَزْنِ الشَّرْعِ كلَّ خاطِرِ ... فان يكن مأْمورَهُ فبادِرِ

وإن يكن مما نُهيتَ عنه ... فهو من الشيطانِ فاحذَرَ نَهْ

وقال الامام السيِّد الجُنَيدُ رحمه الله تعالى: لقد تَرِدُ النُّكتةُ - أي الخاطِرُ - على قلبي فلا أقبلُها إلا بشاهدَيْ عَدْلٍ من الكتاب والسُّنَّة.

وسبق تعليقاً في (ص٣٦-٣٧) كلامٌ نفيس في (الخواطر) لابن القيم فعُدْ إليه.

Marfat.com

وَوَجَدتُ أُصولَ الفُضُولِ المتحرِّكةَ من القلب تَظْهَرُ على السمعِ والبصرِ واللسان والغِذاءِ واللباس . وفُضولُ السَّمْعِ يُخرِج إلى السَّهْو والغفلة ، وفضولُ البَصَر يُخرج إلى الغَفْلَة والحَيْرة ، وفُضولُ اللسان يُخرِج إلى التزيُّد والبِدعة ، وفُضولُ الغِذاء يُخرِجُ إلى الشَرَهِ والرغبة ، وفُضولُ اللباسِ يُخرِجُ إلى المُباهاةِ والخُيَلاء . واعلم أنَّ حفظَ الجوارح فريضة ، وتَرْكَ الفُضُول فَضيلة

والتوبةُ قبل ذلك فريضة ، وقد فَرَضَها اللهُ ورسولُه ، فقال جلَّ ذكرُه :

﴿ يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نَصوحاً ﴾ (١) ،

معنى « نصوحاً » : تَرْكُ العَوْدِ فيما تاب منه العبدُ إلى ربِّه . وقال رسول الله ﷺ : « يا أيُّها النَاسُ توبوا إلى ربكم قَبْلَ أنْ تَموتوا ، وتَقَرَّبوا إلى اللهِ بالعملِ الصالح منْ قبل أنْ تُشْغَلُوا » (٢) .

---

(١) : الآية (٨) من سورة التحريم .

(٢) هذا جزء من حديث طويل ، وهو حديث موضـــوع ، أخرجه ابن ماجه من حديث جابر في « سننه » : (١/٥٧٣) في باب فرض الجمعة ، ولفظه : « يا أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا

Marfat.com

ولاتَصِحُّ التوبةُ إلا بأرْبعةِ أشياء : حَلُّ إصرارِ القلبِ عَنِ المُعَاوَدَةِ ، والاستغفارُ بالنَّدَمِ ، وَرَدُّ التَّبِعَاتِ وَالمَظَالِمِ ، وَحِفظُ الجوَارح مِنَ الحواسِّ السَّبْع : السَّمعُ والبصرُ واللِسانُ والشَّمُّ واليدانِ والرجلانِ والقَلْبُ وهو أميرُهَا ، وبهِ صَلاحُ الجَسَد وفَسَادُهُ.

وقد جعَلَ اللّٰه عَلَى كلّ جَارِحةٍ أمْراً ونَهْياً فَرِيضةً مِنهُ ، وجَعَلَ بَيْنَهُمَا سَعَةً وإباحَةً تَرْكُها فَضِيلَةٌ للعَبدِ .

فَفَرْضُ القلبِ - بعد الإيمَانِ والتوبةِ - إخْلاصُ العَمَل للّٰهِ

بالأعمال الصالحة قبل أن تُشْغَلوا ... » وفي سنده : علي بن زيد بن جُدعان ، وهو ضعيف باتفاق ، والراوي عنه : عبدُالله بن محمد العدوي قال الذهبي في « الميزان » في ترجمته (٢/٦٨) : « قال البخاري : منكر الحديث ، وقال وكيع : يضَعُ الحديث ، وقال ابن حِبّان : لا يجوز الاحتجاج بخبره » . ثم ساق الذهبي الطَّرَفَ المذكور هنا من حديثه . وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته في « تهذيب التهذيب » : (٦/٢١) بعد أن ذكر ما نقله الذهبي في تجريحه : « رَوَى له ابنُ ماجه حديثاً واحداً في صلاة الجمعة ، وقال ابنُ عبد البر : إنَّ جماعةَ أهلِ العلم بالحديث يقولون : إنَّ هذا الحديث مِن وَضْعِ عبدالله بن محمد العدوي ، وهو عندهم مَوْسُومٌ بالكذب » .

وكان على المؤلف أن يستدلَّ على أمرِ الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوبة بحديث الأغرّ بن يَسار المُزَني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناسُ توبوا إلى الله ، فاني أتوب إليه في اليومِ مائةَ مرّة » . رواه مسلم في « صحيحه » : (١٧/٢٤) .

Marfat.com

واعتقادُ حُسنِ الظَّنّ عند الشبهة ، والثقةُ بالله ، والخوفُ مِنْ عذابِهِ ، والرجاءُ لفضلِهِ .

وقد رُوِي في معنَى القلب أخْبارٌ كثيرة ، منها : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ مِنَ المؤمنينَ مَنْ يَلِينُ لَهُ قلبي » (١) . وقالَ عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الحقَّ يأتي وعليه نورٌ ، فعليكم بِسَرائِرِ القلوب » (١) . وقالَ ابنُ مسعود رضي الله عنه : للقلوب شَهْوَةٌ وإقبالٌ (٢) ، وفَتْرَةٌ وإدْبارٌ ، فاغتنموها عِندَ شَهْوتِها وإقبالها (٣) ، وذَرُوها عِندَ فتْرَتِها وإدْبارِها . قالَ ابنُ المبارك رحمهُ الله : القلبُ مِثْلُ المِرآة : إذَا طَالَتْ في اليَدِ صَدِئَتْ ، وكالدابَّة : إذَا غُفِلَ عَنْهَا عَدَلَتْ . وقالَ بعضُ الحكماء : القلبُ مِثْلُ بَيتٍ لَهُ سِتَّةُ أبوابٍ ثمَّ قِيلَ لَهُ : احذَرْ ألَّا يَدْخُلَ عليكَ مِنْ

---

(١) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من المراجع الحديثيّة ، فالله أعلم بثبوته .

(٢) هكذا جاء في الأصلين وفي « الحلية » لأبي نعيم (١٣/١) وفي « روضة العقلاء » لابن حِبّان (ص١٧-١٨) : (شهوة وإقبال) ، والمعنى واضح . ولو قيل : إنها محرَّفة عن (شِرَّة وإقبال) أي نشاط ورغبة لما كان بعيداً .

(٣) وقع في الأصلين : (فأكرموها عند شهوتها) . وهو تحريف . والتصويب عن « الحلية » لأبي نعيم .

Marfat.com

أحدِ الأَبْوَاب شيءٌ[1] ، فَيُفسِدَ عليكَ البيت ، فالقلبُ هوَ البيتُ ، والأَبْوابُ : العينانِ واللسانُ والسمعُ والبصرُ واليدانِ والرجلانِ ، فَمَتَى انْفَتَحَ بَابٌ مِنْ هَذِهِ الأبوابِ بغير علم ضَاعَ البيتُ !

وفَرْضُ اللسان ، الصِّدْقُ في الرضى والغَضَب ، وكفُّ الأَذَى في السِّرِّ والعَلَانِيَة ، وتَرْكُ التَزَيُّدِ بِالْخَيْرِ والشرِّ ، وقالَ رسول الله ﷺ : « مَنْ ضَمِنَ لي ما بين لَحْيَيهِ وما بين رِجْلَيهِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللهِ الجنَّة »[2] . وقالَ رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النارِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلا حصائدُ ألسنتِهِم »[3] .

---

(١) أي احترز وتنبَّهْ ألا يدخل عليك شيء ...

(٢) أخرجه البخاري في « صحيحه » عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه بلفظ : « من يَضمنْ لي ما بين لَحيَيْهِ ، وما بين رجليه أضمَنْ له الجنة » . قال الحافظ ابنُ حجر في « فتح الباري » : (١١/٢٦٥) « اللَّحْيانِ : هما العظمانِ في جانبي الفم . والمرادُ بما بينهما : اللسانُ وما يتأتّى به النطق ، والمرادُ بما بين الرجلين : الفَرْج . قال ابنُ بطّال : دلَّ الحديثُ على أن أعظم البلاء على المرء في الدُّنيا : لِسانُهُ وفَرْجُه ، فمن وُقِيَ شرَّهما وُقِيَ أعظمَ الشرّ » .

(٣) أخرجه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه الامام أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي . وقال : « حديث حسن صحيح » . وسقط من الأصل هنا لفظ (في النار) .

قال الحافظ ابن رجب في « جامع العلوم والحِكَم » : (ص٢٤١) =

Marfat.com

وقالَ ﷺ : « أُنْذِرُكُمْ فُضولَ الكلامِ ، حَسْبُ أحدِكم مَا يَبلُغُ بِهِ حَاجَتَهُ ، فإنَّ الرجلَ يُسألُ عنْ فُضُولِ كَلامِهِ كَما يُسْألُ عنْ فُضُولِ مَالِهِ »(١) . وقالَ ﷺ : « إنَّ اللهَ عِندَ لسانِ كلِّ قائلٍ ، فاتَّقَى اللهَ امْرُؤٌ عَلِمَ مَا يَقُولُ »(٢) .

= « المرادُ بحصائدِ الألسنة : جَزَاءُ الكلامِ المحَّرمِ وعقوباتُه ، فانَّ الانسان يَزْرَع بقوله وعملِهِ الحسناتِ والسيئـــاتِ ، ثم يحصُدُ يوم القيامة ما زَرَع ، فمَنْ زَرَع خيراً من قولٍ أو عملٍ حَصَدَ الكرامة ، ومَنْ زَرَع شرّاً من قولٍ أو عملٍ حَصَدَ الندامة !! » .

(١) هذا ليس بحديث . وإنما هو من كلام الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، كما نَسبَه إليه الغزالي في « الاحيـــاء » : (٢١٢/٨) ، ولفظه : « قال ابنُ مسعود : أنذركم فُضولَ كلامكم ، حَسْبُ امرىء من الكلام ما بَلَغ به حاجته » . وقال شارحُ «الاحياء» العلامة الزبيدي في شرحه (٤٦٦/٧) : «أخرجه ابنُ أبي الدنيا فقـال : حدثنا أبي ، أخبرنا ابن عُلَيّة ، عن ليث : أنَّ ابن مسعود قال : أنْذَرتُكم فُضولَ الكلام ، بَحْسبِ أحدِكم ما بَلَغ حاجتَه » .

(٢) رواه أبو نعيم في « الحلية » : (١٦٠/٨) عن ابن عمر ، والحكيمُ الترمذي في « نوادر الأصول » عن ابن عباس كما في « الجامع الصغير » للسيوطي . وأشار المُناوي في « فيض القدير » : (٢٤٠/٢) إلى ضعفِ الحديث بوجود راوٍ في سنده ساقطِ الاعتبار . و معنى (فاتّقَى الله امرؤ) أي فليتَّقِ الله امرؤ .

Marfat.com

وفرْضُ البصرِ : الغَضُّ عنِ المَحَارِمِ ، وتَرْكُ التطلُّعِ فيما حُجِبَ وسُترَ . قال حُذَيفة رضى الله عنه قال رسولُ الله ﷺ : « النَّظَرُ سَهْمٌ من سِهَامِ إبليس ، فَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ خَوفِ اللهِ آتَاهُ اللهُ إيماناً يَجِدُ حلاوتَهُ في قلبه »[1] . وقال أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه : مَنْ غَضَّ بصَرَهُ عَنِ النظَرِ الحرامِ : زُوِّجَ مِنَ الحُورِ العِينِ حيثُ أحبَّ ، ومَنِ اطَّلَعَ فوقَ بُيوتِ الناس حَشَرَهُ اللهُ يَوم القيامةَ أعمى !

وقال داودُ الطائيُّ لرجُل - وقد أحدَّ النظرَ إلى بعضِ مَنْ يَنْظُرُ إليه - فقال : يَا هَذا آزْدُدْ بصرَكَ إليكَ ، فإنه بَلَغَنِي أنَّ الرجلَ يُسْأَلُ عَنْ فُضُولِ نَظَرِهِ كَمَا يُسْأَلُ عَنْ فُضُولِ عَمَلِهِ[2] . ويُقالُ :

---

(١) رواه الحاكم في « المستدرك » : (٣١٤/٤) عن حُذَيفة ، وصحّحه ، وردّه الحافظ الذهبي بأن فيه راوياً واهياً ، وآخرَ ضعفياً. ورواه الطبراني عن ابن مسعود ، وقال الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » : (٣١٧/٣) : في « سنده واهٍ » . وأقربُ الروايتين لفظاً إلى اللفظ المذكور : روايةُ الحاكم ، وهي : « النَّظْرةُ سَهْمٌ من سهام إبليس ، مسمومةٌ ، فمَنْ تَركَها من خوفِ الله أثابه الله إيماناً يجدُ حلاوتَه في قلبه » .

(٢) جاء في الأصل (عِلمِه) .

Marfat.com

« لَكَ النَّظْرَةُ الأُولَى ، ولَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ »[١] . فَمَا هَجَمَ عَلَى النظرِ فهو موضوع عنِ العبد ، وما استَبَدَّ بِهِ النظرُ بِمعقولِ الفهم فالعبدُ مَأْخُوذٌ به[٢] .

وفرْضُ السَّمْعِ : تَبَعٌ للكلامِ والنَّظَر ، فكُلُّ مَا لا يَحِلُّ لَكَ الكلامُ فِيه والنظرُ إِلَيه : فَلَا يَحِلُّ لَكَ استِماعُهُ ولا التَلَذُّذُ بِهِ . والبَحْثُ عَمَّا كُتِمَ عنكَ تَجَسُّس[٣] . وَسَمَاعُ اللَّهْوِ والغِنَاءِ وأَذَى المسلمينَ : حَرَامٌ كَالمَيتةِ والدَّمِ . وقالَ عبدُ اللهِ بن عُمَرَ رضي اللهُ عنهما : نُهِينا عنِ الغيبةِ والاستِماعِ إِلَيها ، وعنِ النَّمِيمَةِ والاستِماعِ لَهَا .

---

(١) هو حديث مرفوع ، رواه بُرَيدةُ بن الحُصَيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ . أخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وقال « حديث غريب » . ولفظُهُ عندهم : « قال : قال رسول الله ﷺ : يا عليُّ لا تُتْبِع النظرةَ النظرة ، فانما لك الأولى ، وليستْ لك الآخرة » . وقولُه : « لك الأولى » يعني حيث تكون فُجاءة من غير قصد . وقولُه : « وليستْ لك الآخرة » لأنها باختيارك وقصدِك فتكون عليك .

(٢) أي ما أخَذَ فيه النظرُ حظَّه من الرؤية مع إعمال الفكر فالعبدُ مسئول عنه .

(٣) جاء في الأصلين : (تجسيس) . وهو تحريف

Marfat.com

وسُئِلَ القاسِمُ بنُ مُحَمَّد [١] عنْ سماعِ الغناءِ ؟ قالَ : إِذَا ميَّزَ اللهُ بينَ الحقّ والباطل يَومَ القيامة ، أين يقعُ الغناءُ ؟ قيلَ : في حَوزِ الباطل ، قالَ : فَأَفْتِ نَفسَكَ .

ولَيسَ مِنْ جَارِحةٍ أشدُّ ضَرراً على العبدِ - بعد لسانهِ - مِنْ سَمْعِهِ ، لأَنه أسْرَعُ رَسُولٍ إِلَى القلب ، وأَقْرَبُ وقُوعاً في الفِتْنَة . وقد ذُكِرَ عَنْ وكيع بن الجرَّاح قالَ : سَمِعْتُ كَلِمَةً مِنْ مُبْتَدِعٍ منذ عشْرِينَ سنة ، مَا أستَطِيعُ إِخْرَاجَها مِن أُذُنَيَّ ! وكَانَ طَاوُوس إِذَا أَتَاهُ مُبتدِع سَدَّ أُذُنَيْه ، لئلَّا يَسْمَعَ كَلامَهُ .

وفَرْضُ الشَّمّ : تَبَعٌ للسَّمْع والبصر ، فكُلُّ مَا حَلَّ استِماعُهُ ونَظرُهُ ، جَازَ لكَ شَمُّهُ . وقَد رُوِيَ عَنْ عُمَر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أنه أُتِيَ بِمِسْكٍ ، فَأَمْسَكَ عنه أَنْفَهُ . فَقِيلَ لَهُ في ذَلِكَ ؟ فَقالَ : وَهَلْ يُنْتَفَعُ مِنهُ إِلَّا بِرَائِحَتِهِ [٢] ؟

---

(١) هو : القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان من سادات التابعين وأحَدَ الفقهاء السبعة الذين كانوا في المدينة المنورة رضي الله عنه .

(٢) وقع في الأصلين : (فأمسَك عن أنفِه) . والظاهرُ أنَّ المِسْك كان من بيتِ المال حتى تورَّع الخليفة عمر بن عبد العزيز عن شَمّه رضي الله عنه .

Marfat.com

وفرْضُ اليدينِ والرجلينِ : أنْ لاَ تَبْسُطَهمَا إِلَى مَحْظُورٍ ، ولاَ تَقْبِضَهُمَا عَنْ حَقّ . وقَالَ مسروق : مَا خَطَا العَبدُ خَطْوَةً إِلاَّ كُتِبَتْ حَسَنَةً أوْ سَيِّئَةً . وكَتَبَتْ ابنَةُ سُلَيمَان إِلى عَبْدَة بِنْتِ خَالِدِ بنِ مَعْدَان : (زُورِينِي) ، فكَتَبَتْ إِليها عَبْدَةُ : (أمَّا بعدُ ، فإِنَّ أبِي رحِمَهُ اللّهُ كَانَ يَكْرَهُ أنْ يَسِيرَ مَسِيراً ليس هُوَ فيهِ ضَامِناً على اللّهِ ، أوْ يَأْكُلَ طَعَاماً إِذَا سُئِلَ عنهُ يوم القيامة لَمْ يَكُنْ عِنْدهُ فيهِ مَخْرَج ، وقَدْ كَرِهْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَرِهَ أبِي. والسّلامُ عليكِ) .

فانْ قالَ قائل : ما السبيلُ إِلى العمَلِ بذلكَ (١)؟

قيلَ : لزُومُ منهاج الأئة المتقين ، والنظرُ في آداب المسترشدين لمَعرفةِ الخَطْوِ (٢) ، والتيقُّظ بالمحَاسبة (٣) ، والعَمَلُ بالإِنْصَافِ ،

---

(١) جاء في النسخة المغربية : (ما السبيلُ إلى العِلمِ بذلك) .
(٢) جاء في النسخة المغربية : (لمعرفة الخطر) .
(٣) وإنما يَنهَضُ بهذا الموفّقون المراقبون شَرْعَ الله في أنفسهم في المَنْشَطِ والمَكْرهِ والسرّاء والضرّاء ، وإليك ثلاثة نماذج من سيرة أولئكَ الموفّقين تُدركُ منها معنى (التيقُّظ بالمحاسبة) :
١ - روى الحافظ أبو نُعيَم في «الحِلية» : (٣٢٦/٥) في ترجمة (عمر بن عبدالعزيز) الخليفة الراشد رحمه الله تعالى : « أنّ عُمَر بن

Marfat.com

. . . . . .

=عبدالعزيز رأى رجلاً يُشير بشِماله ، فقال : يا هـذا إذا تكلَّمت فـلا تُشِرْ بشمالك ، أشِر بيمينك ، فقـال الرجل : ما رأيتُ كاليوم أنَّ رجلاً دفَنَ أعزَّ الناسِ إليه ، ثم إنه يهمُّهُ يميني مِن شِمالي ! فقال عمر: إذا استأثَرَ اللهُ بشيءٍ فالْهُ عنه » .

٢ ـ قال الشيـخ تاج الدين ابن السُّبْكي في « طبقات الشـافعية الكبرى » : (١٠٩/٥) في ترجمة الحافظ زكيّ الدين عبدالعظيم المُنْذِري الامام الورع الزاهد الصالح صاحب كتاب « الترغيب والترهيب » : «سمعتُ أبي يحكي عن الحافظ الدمياطي أن الشيـخ المنذري خَرجَ من الحمّام مرَّةً وقد أخَذ منه حرُّها ، فما أمكَـنَهُ المشيُ ! فاستلقَى على الطريق إلى جانب حانوت ! فقال له الحافظ الدمياطي : يا سيدي أنا أقعدك على مسطبة الحانوت ، وكان الحانوت مغلقاً ، فقال له الشيـخ المنذري وهـو في تلك الشدَّة : بغير إذنِ صاحبه كيف يكون ؟! وما رضي » .

٣ ـ قال الشيـخ مرتضى الزبيدي في شرح «الاحياء» : (٥٦٦/٧) في مبحث جواز غيبة الفاسق : « إنَّ ذِكرَ الفاسِق بما فيه ليَحذره الناسُ : مشروطٌ بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة دفعاً للاغـترار به ، فمن ذكَرَ أحَداً من هذا الصنف تَشَفّياً لغَيْظه أو انتقـاماً لنفسه أو لنحوِ ذلك من الحظوظ النفسانية فهو آثم ، صَرَّح بذلك تاج الدين ابن السبكي عن والده تقي الدين السبكي ، قـال تاج الدين : كنتُ جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب ، فقلتُ : اخْسَأ كلب بن كلب ، فزجَرَني الوالدُ من داخل البيت ، فقلت : أليس هو كلب بن كلب ؟ قـال : شَرْطُ الجواز عَدَمُ قَصْدِ التحقير ، فقلت : هذه فائدة » .

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى مَدَى يقظة هؤلاء الأئمـة في محاسبتهم لأنفسهم .

=

Marfat.com

والتحرُّزُ بِكَفِّ الأذَى ، وبَذْلُ الفَضْلِ بِتَرْكِ المِنَّةِ ، وحُسْنُ السَّمْتِ بغيرِ حَسَدٍ ، والقناعةُ بِحُبِّ الخُمُولِ ، وطُولُ الصَّمْتِ رغبةً في السلامة ، والتواضعُ لِلخَلْقِ بلا وَحْشَةٍ ، والأُنْسُ بِالذِّكْرِ في الخَلْوَة ، وتَفَرُّغُ القَلبِ لِخِدمةِ ، واجْتِماعُ الهمِّ بالمُراقبةِ ، وطَلَبُ النجَاةِ في طَريقِ الاستقامةِ . قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إِنَّ الذينَ

= فالخليفة عمر بن عبد العزيز لم يَشغله حُزنه الذي ملأ عليه يومَه ، إذ دَفَنَ فيه أعزَّ الناس إليه ـ من ولد أو قريب ـ أن يُعلِّمَ الرجل ما أخطأ فيه ، فما سَمح لنفسه أن يسكت على مخالفةٍ تقعُ من أحد أفراد الرعيَّة ، وهي الاشارةُ باليد اليُسرى ، فأرشَدَ الرجلَ ـ وهو مغمورٌ في ذلك الحُزْنِ العميق ـ إلى أنَّ سُنَّةَ الاسلام الاشارةُ باليد اليُمنى.

والحافظ المنذري أرهقه حَرُّ الحمَّام حتى لم يستطع المشي فاستلقى في الطريقِ من شدَّةِ ضعفِهِ وانهيارِ قواهُ ! فيقول له صاحبُهُ : أنا أقعدُك على مسطبة الحانوت ، والحانوت مغلق لا يتضرَّر بجلوسه أحد لو جلس ، فيقول الشيخ وهو في أشدّ ما يكون تَعَباً ورَهَقاً : بغيرإذن صاحبه كيف يكون ؟! وما رضي أن يجلس بل رأى أن الاستلقاء في الطريق أحبُّ إليه من القعود على مسطبة الحانوت ! •

أما تقي الدين السبكي فقد رأى أن ابنه أخطأ حين زَجَر كلباً بلهجةِ المُتنَقِّص المحتَقِر ، فأعلمَهُ أنَّ ذلك لا يسوغُ ولو مَعَ الحيوان والكلب ! ولقد صَدَق القائلُ :

هُمُ الرجالُ وعَيْبٌ أن يُقالَ لمن ... لم يَتَّصِفْ بمعاني وَصْفِهِم : رجُلُ !

Marfat.com

قَالُوا رَبُّنا اللّٰه ثمَّ استَقَامُوا فلَا خوفٌ عليهمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١).

وقالَ سُفيان بن عبداللّٰه الثقفي : يا رَسُول اللّٰه حَدِّثني بأمْرٍ أعتصِمُ بهِ ، قالَ : « قُلْ آمَنْتُ بِاللّٰه ، ثمَّ آسْتَقِمْ » (٢) . وقَالَ عُمَر بنُ الخَطَّاب رضي اللّٰه عنهُ : (استقاموا) : للّٰه بطاعته ، ولم يَرُوغوا رَوَغَانَ الثعَالب . وقَالَ أبو العالية الرِّيَاحِيّ : (استقَاموا) : أخْلَصُوا للّٰه الدِّينَ والدَّعْوَةَ وَالعَمَلَ . وَأصْلُ الاستقامة في ثَلَاثَةٍ : اتّباعُ الكتابِ ، والسُّنّةِ ، ولُزُومُ الجماعة .

واعْلَمْ أنَّ أنْجَى طَريق للعبد : العَمَلُ بِالْعلم ، والتحرُّزُ بالخوفِ ، والغِنَى باللّٰه عَزَّ وجَلَّ . فَاشْتَغِلْ بإصْلاح حَالِكَ ، وافْتَقِرْ إلى رَبِّكَ ، وتَنَزَّهْ عَنِ الشُّبهات ، وَأَقْلِلْ حوَائِجَكَ إلى الناس ، وأحِبَّ لهُم مَا

---

(١) : الآية (١٣) من سورة الأحقاف .

(٢) أخرجه مسلم في « صحيحه » ، ولفظه : « قل لي في الاسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرك . قال : قل ... ». وفي رواية : « لا أسأل عنه أحداً بعدك » . قال الامام النووي في شرح « صحيح مسلم » (٩/٢) : « قال القاضي عياض رحمه الله : هذا من جوامع كلمه ﷺ وهو مطابق لقوله تعالى : « إنَّ الذين قالوا : ربُّنا الله ثم استقاموا » أي وحَّدُوا الله وآمنوا به ، ثم استقامـــوا فلم يحيدوا عن التوحيد ، والتزموا طاعته سبحانه وتعالى إلى أن تُوفّوا على ذلك » .

Marfat.com

تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَاكْرَهْ لهُم مِثْلَ ذَلِكَ ، ولا تَكْشِفَنَّ سِتْراً .

ولاتُحَدثَنَّ نفسكَ بخطيئةٍ ، ولا تُصِرَّنَّ على صَغيرة ، وافزَعْ إلى الله عند كلّ فاقة ، وافْتَقِرْ إِلَيهِ في كلِّ حَال ، وتوكَّلْ عليه في كلّ أمر . واعتَزِلِ الهوَى ، ولا تَقْنَعْ مِنْ نَفْسِكَ بالتربُّصِ ، وأَخْمِلْ ذِكرَكَ ، وأدِمْ للهِ شُكْرَكَ ، وأكْثِرْ مِنَ الاستغفارِ ، واعْتَبِرْ بالإفكارِ [1] .

وعليكَ بالتأنّي عندَ مَوارِدِ العَجَلَة ، وَحُسْنِ الأَدَبِ في المُخالَطَةِ . ولا تَغْضَبْ لِنفسِكَ على الناس ، واغضَبْ للهِ على نَفسِكَ ولا تُكافِئَنَّ أحداً بإساءَةٍ ، واحذَرْ المِدْحةَ للجاهِلِ بنفسِهِ ، ولا تَقْبَلْها لنفسِكَ مِنْ أحدٍ . وأقِلِّ الضحكَ وَجانِبِ المزاحَ .

واكتُمِ الأوجاعَ ، وأظهرِ التَّعفُّف ، واستَبْطِنِ [2] الثقة ، واستَشْعِرِ اليأسَ وحُسْنَ الفَقْرِ ، واصبِرْ عَلَى مَا أصابَكَ ، وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ ، وكُنْ مِنْ وَعْدِ اللهِ عَلَى يقينٍ وَمِنْ آثَارِكَ في وَجَل . ولا تتكَلَّفَنَّ مَا قدْ كُفِيتَهُ ، ولا تُضيِعَنَّ مَا وُكِّلْتَ بطَلَبِهِ ،

---

(١) أي تدبَّرْ ماتفكّرُ فيه ، ولا تجعل تفكيرك فيما لا ثمرة منه.
(٢) في النسخة المغربية : (واستوطن) .

Marfat.com

وافتقِرْ إلى اللهِ في كلِّ عَطائِهِ ، وارْغَبْ في النجَاةِ مِنهُ .

واعْفُ عمَّنْ ظلَمَكَ ، وأعطِ مَنْ حَرَمَكَ ، وَصِلْ في اللهِ مَنْ قَطَعَكَ وآثِرْ في اللهِ مَنْ أحبَّكَ ، وابذُلْ نَفسَكَ ومالَكَ لإخوانِكَ ، وَازْعَ حقُوقَ المَوْلَى في دِينِكَ ، ولا يَعْظُمْكَ كَبيرٌ مِنَ المعروف تفعله ، ولا تَحْقِرَنَّ صغيراً مِنَ المنكر تفعَلُهُ .

واحْذَرْ التزيُّنَ بالعلمِ ، كَما تَحْذَرُ العُجْبَ بالعَمَلِ ، ولا تَعْتَقِدَنَّ باطِناً مِنَ الأدَبِ يَنْقُضُهُ عليكَ ظاهِرٌ مِنَ العِلْمِ ، وأطِعِ اللهَ في معصيةِ الناس ، ولا تُطِعِ الناسَ في معصيةِ اللهِ تعالى ، ولا تَدَّخِرَنَّ مِنْ جُهدِكَ عنِ اللهِ شَيئاً ، ولا تَرْضَ مِنْ نَفسِكَ للهِ عَمَلًا ، وَقُمْ بينَ يديهِ في صَلاتِكَ جُمْلَةً ، وَأدِّ زكاةَ ما افْتَرَضَ اللهُ عليكَ بالنشاطِ والرغبةِ ، وَاحفَظْ صَوْمَكَ مِنَ الكذِبِ والغِيبةِ .

وَارْعَ حَقَّ الجارِ والمِسكينِ والقريب ، وأدِّبْ أهلَكَ . وَازفُقْ بما مَلَكَتْ يَمِينُكَ ، وكُنْ قَوَّاماً بالنشاطِ كما أمَرَكَ ، وإذَا حُرِّكْتَ لخيرٍ فَتَعَجَّلْهُ ، وما اشْتَبَهَ عليكَ فَدَعْهُ . وَالزَمِ الرَّحْمَةَ لِلمؤمنين ، وقُلِ الحقَّ حيثُما كُنْتَ .

ولا تُكْثِرِ الأيمانَ وإنْ كُنتَ صادِقاً ، واحذَرِ التوسُّعَ

Marfat.com

في المَنطِقِ وإِنْ كُنتَ بَليغاً ، وإِيَّاكَ والتكلُّفَ في الدِّينِ وَإِنْ كُنتَ عَالماً . وَقَدِّمِ العِلْمَ قَبلَ كلّ مقالٍ ، وَالزَمِ الإِشفاقَ بعدَ الاجتهادِ .

وَدَارِ النَّاسَ ما سَلِمَ لكَ الدِّينُ ، وأحذَرِ المُدَاهَنةَ أصلًا[1]، وَخَالِقِ الناسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ ، ولا تَستَحِيَنَّ انْ تَقولَ فيما لا تعلم : اللهُ أعلم .

ولا تَمْشُرْ حَدِيثَكَ عِندَ مَنْ لاَ يُرِيدُهُ ، ولاَ تَبذُلْ دِينَكَ عِندَ مَنْ يُبَغِّضُهُ إليكَ . وَلاَ تَتَعَرَّضْ من البلاءِ مَا لا طَاقَةَ لَكَ به ، وأكرِمْ نفسَكَ عَمَّنْ يُهِينُهَا ، ونَزِّهْ هِمَّتَكَ عَنْ دَنَاءَةِ الأَخلاقِ ، ولا تُوَاخِ إلا أميناً ، ولا تُبدِ أسْرَارَكَ لكلِّ الناس ،

---

(١) قال الحافظُ ابن حجر في « فتح الباري »: (٤٣٨/١٠) ما خلاصته : الفَرْقُ بين المداراة والمداهنة أنَّ المداراة هي خَفْضُ الجَناح للناس ، والرفقُ بالجاهِل في التعليم ، وبالفاسقِ في النهي عن فعله، وَتَرْكُ الاغلاظِ عليه حيث لا يُظهِر ما هو فيه ، والانكارُ عليه بلطف القول والفِعل ، ولاسيما إذا احتيج إلى تألُّفِه ، وهي من أخلاق المؤمنين ومندوبٌ إليها . والمداهنةُ ـ وهي مأخوذة من الدُّهان ، وهو الذي يَظهَر على الشيءِ ويَستُرُ باطنَه ـ مُعاشَرةُ الفاسقِ وإظهارُ الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، وهي محرَّمة منهيٌّ عنها .

Marfat.com

ولا تُجَاوِزْ بالمرءِ حَالَهُ ، ولا تُخَاطِبْهُ مِنَ العِلْمِ بما لا يَحْتَمِلُهُ عَقْلُهُ ، ولا تَدْخُلْ في أمْرٍ لَمْ تُدْعَ إليهِ .

وَوَقِّرْ مَجَالِسَ العلماء ، واعرِفْ قَدْرَ الحكماء ، ولا تَدَعِ المُكافأةَ والصَّنائعَ [1] ، وأعْرِضْ عَنِ الجُهَّالِ ، وَاحْلُمْ عَنِ السُّفَهاء ، وَشَاوِرْ في أمْرِكَ الذينَ يَخْشَوْنَ اللّٰهَ .

وانصرْ أخاكَ مظلوماً ، وَرُدَّهُ إلى الحقّ إنْ كَانَ ظَالِماً ، وَابذُلْ لَهُ حَقَّهُ منكَ ، ولا تُطَالِبْهُ في حَقِّكَ مِنْهُ ، وَيَسِّرْ عَلَى الغَرِيمِ [2] ، وارْفُقْ بالأَرملة واليتيم ، وأكرِمْ الصابرين من الفقراء ، وَازحَمْ أهْلَ البَلاء مِنَ الأغنياء ، ولا تحسُدَنَّ أحَداً عَلَى نِعْمَة ، ولا تَذْكُرْ أحداً بغِيبةٍ ، وَسُدَّ عَلَى نفسِكَ بَابَ سُوءِ الظَّنِّ بِخَوْفِ المسألَةِ ، وافتَحْ بَابَ حُسْنِ الظنّ بِسَعَةِ التأويلِ ، وأغْلِقْ بَابَ الطمَع بالإياس ، واستَفْتِحْ بَابَ الغِنَى بالقناعةِ ، ونَزِّهْ ذِكْرَ اللهِ عنْ إضَافةِ المَكَارِهِ [3] .

---

(١) الصنائع : جمعُ صنيعة ، وهي النعمة واليدُ الحسنةُ تُقدَّمُ لك من غيرك ، فلا تَدَعْ المكافأةَ عليها ومقابلةَ الصنيعة بالصنيعة .

(٢) أي المَدِين .

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية» عند حديثِ الدعاءِ الذي جاء فيه :=

Marfat.com

وحصِّلِ الأوقاتَ ، واعرِفْ مَا يَذْهَبُ بهِ لَيلُكَ ونَهارُكَ ، وجَدِّدْ في كلّ وقتٍ توبة ، واجعَلْ عُمُرَكَ ثلاثَ ساعَات : سَاعةً للعِلْمِ ، وسَاعةً للعَمَلِ ، وسَاعةً لُحقوقِ نفسِكَ ومَا يَلْزَمُكَ . واعتَبِرْ بمَنْ مَضَى ، وتفكَّرْ في مُنْصَرَفِ الفريقينِ بين يدي الله تعالَى : فريقٍ في الجنَّةِ بِرِضَاهُ ، وفريقٍ في السَّعيرِ بسَخَطِهِ ، واعرِفْ قُربَ اللهِ منكَ ، وأكْرِمِ الحَفَظَةَ الكَاتبِين ، وتناوَلْ نِعَمَ اللهِ بالفَهْم ، ورُدَّهَا إِلَيهِ بحُسْنِ الثناءِ والشُّكرِ .

واحذَرْ مِنِ اتِّهَامِ النَّفْسِ برُؤيةِ المقامات ، وتسَفُّهِ الحقِّ بغَمْطِ الناسِ فإنه سُمٌّ قاتلٌ (١) ، واعتزِلْ خَوفَ السُّقُوطِ مِنْ أعْيُنِ

= « الخيرُ بيديك ، والشرُّ ليس إليك » : أي أنَّ الشرَّ لا يُتقرَّبُ به إليك ولا يُبتَغَى به وجهُك ، أو أنَّ الشرَّ لا يَصْعَدُ إليك ، وإنما يَصعَدُ إليك الطَّيِّبُ من القولِ والعَمل . وهذا الكلامُ إرشادٌ إلى استعمال الأدبِ في الثناء على الله ، وأنْ تُضافَ إليه سبحانه مَحاسِنُ الأشياء دُونَ مَساوِيها . وليس المقصودُ نفيَ شيءٍ عن قُدرته تعالى وإثباتَه لها ، فان هذا الأدب في الدعاء مندوب إليه ، يُقال : يا ربَّ السماء والأرض ، ولا يُقالُ : يا ربَّ الكِلابِ والخَنَازير وإن كان هو ربَّها ».

(١) في النسخة المغربية : (وتسفُّه الحقّ بعَتْب الناس فانه سَهْم قاتل) .

Marfat.com

النّاسِ لخوف مَقْتِه ، وَخَوْفَ الفقر : بقرب الأَجل . وَأَخْفِ أَثَرَكَ ما استَطَعْتَ[1] .

وابْذُل الجهدَ عِندَ المَشُورَة ، وأَحِبَّ في اللهِ بعَزْمٍ ، وَاقْطَعْ في اللهِ بِحَزْمٍ[2] . ولا تُخَالِلْ إِلَّا تَقِيًّا عَالِماً ، ولا تُخَالِطْ إِلَّا عَاقِلاً بصِيراً . وكُنْ مُقتدِياً بمنْ قَبْلَكَ مِنَ الأَئِمّة ، ومُعَلِّماً لَمَنْ بَعْدَكَ مِنَ الأُمَّة . إِماماً لِلْمُتَّقِينَ ، كَهْفاً لِلْمُسْتَرْشِدِينَ .

ولا تُظْهِرَنَّ إِلَى أحدٍ شكوى . ولا تَأْكُلْ بِدِينِكَ الدُّنيا ، وخُذْ بَحَظِّكَ مِنَ العُزْلَة ، ولا تَأْخُذَنَّ إِلا حلالاً ، وجَانِبِ الإِسراف ، واقنَعْ مِن الدُّنيا بالكَفَافِ .

واطلُبِ الأَدَبَ في بَسَاتِينِ العِلْم ، وَالأُنْسَ في مَوَاطِنِ الخلوة ، والحياءَ في شِعابِ النَّفْسِ ، والاعتبارَ في أَوْدِيَةِ التفكر[3] ، وَالحِكْمَةَ في رِيَاضِ الخَوْفِ . وَاعرِفْ دَوَامَ إِحسانِ اللهِ إِلَيكَ مَع

---

(١) أي أخفِ أعمالَك الصالحة ما استطعت ، لتكون أوفرَ إخلاصاً منك وقبولاً من الله تعالى .

(٢) الحزم تعجُّلُ المرء فِعلَ ما يخشَى فواته ، والعَزْمُ القوّةُ وتوجُّه الارادة لفعل الشيء .

(٣) في الأصل : (الفكر) . والمثبت من النسخة المغربية .

Marfat.com

مُخَالَفَتِكَ لأَمْرِهِ ، وحِلْمَهُ عنك مع إِعْرَاضِكَ عنْ ذِكرِهِ ، وسَتْرَهُ عليكَ مع قِلَّةِ حيائِكَ منه ، وغِنَاهُ عنكَ مع فَقْرِكَ إِلَيهِ .

أينَ عالمٌ بربّهِ ؟ أينَ خَائِفٌ مِنْ ذَنْبِهِ ؟ أينَ مَسْرُورٌ بِقُرْبِهِ ؟ أينَ مَشغولٌ بذِكرِهِ ؟ أينَ مُشْفِقٌ مِنْ بُعْدِهِ ؟ هُوذا مغفورٌ لَهُ يا مَغرور ! ! أَلَمْ يَرَكَ الجليلُ قد هَتَكْتَ السُّتُورَ ؟ !

وَاعْلَمْ يا أخي أنَّ الذنوبَ تُورِثُ الغَفْلَةَ ، والغَفْلَةَ تُورِثُ القَسْوَةَ ، والقسوةَ تُورِثُ البُعْدَ مِنَ اللهِ ، والبُعْدَ مِنَ اللهِ يُورِثُ النَّار ! وَإِنما يَتفكَّرُ في هَذهِ : الأَحياءُ ، وأمَّا الأَمواتُ فقد أماتوا أنفسَهم بِحُبِّ الدنيا (١) .

---

(١) أشار المؤلفُ هنا إلى بعضِ آثار الذنوب ، وقد استوفى الشيخ ابنُ القيم في كتابه : « الفوائد » بيانَ أضرار الذنوب والمعاصي استيفاء جامعاً ، وقابَلَ بين آثارِ فعلِ الذنوب وآثارِ تركِها مقابلةً صادقةً دقيقة ، تَدْفَعُ بكل ذي لُبٍّ وعَقلٍ إلى تركِ الذنوب والبُعْدِ عن أسبابها ، وإلى التحلي بالطاعات وما يَبْعَثُ عليها ، وها أناذا ناقِلٌ لك كلامَه - على طوله - لنَفاستِه واستيفائِه وصِدقِ واقعِه ، فراعِهِ سَمْعَك ، ووجّه له قلبَك ، وأعمِلْ له عقلَك ، واللهُ يتولى الصالحين.

قال رحمه الله تعالى في (ص ٤١ و ٩٧ و ١٣٩ و ١٥٠ - ١٥١) :

« الذنوبُ جراحات ، ورُبَّ جُرْحٍ وَقَعَ في مَقْتَل !! وما ضُرِبَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قَسْوَةِ القلبِ والبُعْدِ عن الله . وأبعَدُ القلوب

Marfat.com

. . . . . .

من الله القلبُ القاسي ! وإذا قَسَا القلبُ قَحَطت العينُ ، وقسوةُ القلب من أربعة أشياءَ إذا جاوَزَتْ قَدْرَ الحاجة : الأكل ، والنـــوم ، والكلام ، والمخالطة .

واعلم أن الصّبْر عن الشهوة أسهَلُ من الصبر على ما تُوجبــه الشهوة ، فان الشهوة : إما أن توجب ألمـــاً وعقوبة ، وإما أن تَقطع لذةً أكملَ منها ، وإما أن تُضيِـع وقتاً إضاعتُهُ حسرة وندامة ، وإما أنْ تَثلِمَ عِرْضاً توفيرُهُ أنفعُ للعبد من ثَلمـه ، وإما أن تُـذهِبَ مالاً بقاؤه خيرٌ من ذهابه ، وإما أن تَضَعَ قَدْراً وجاهاً قِيامُهُ خيرٌ من وضعِه ، وإما أن تَسْلُبَ نعمةً بقاؤها ألذُّ وأطيبُ من قضاء الشهوة، وإما أن تُطَرّقَ لوَضيِـع إليك طريقاً لم يكن يجدُها قبل ذلك ، وإما أن تجلب همّاً وغمّاً وحُزناً وخوفاً لا يُقارِبُ لذة الشهـوة ، وإما أن تُنسِيَ عِلماً ذِكرُهُ ألذُّ من نَيْلِ الشهوة ، وإما أن تُشْمِتَ عدوّاً وتُحزِنَ وليّاً ، وإما أن تَقْطع الطريق على نعمةٍ مقبلة ، وإما أن تُحدِث عيباً يَبْقَى صِفَةً لا تزول ، فان الأعمال تُورث الصّفـاتِ والأخلاق .

فسبحان الله رب العالمين : لو لم يكن في تَرْكِ الذُّنوب والمعاصي إلا إقامةُ المروءة ، وصونُ العِرض ، وحِفظُ الجاه ، وصِيانةُ المـال الذي جَعَله الله قِواماً لمصالح الدنيا والآخرة ، ومحبّةُ الخلق ، وجوازُ القول بينهم ، وصلاحُ المعاش ؛ وراحةُ البدن ، وقوّةُ القلب ، وطِيبُ النّفْس ، ونعيمُ القلب ، وانشراحُ الصدر ، والأمْنُ من مخاوف الفُسّاق والفُجّار ، وقِلّةُ الهَمّ والغمّ والحُزن ، وعِزُّ النّفْس عن احتمال الذُّلّ ، وصَونُ نور القلب أن تُطفِئَه ظلمةُ المعصية ، وحصولُ المَخْرَجِ لمتّقي الذنوب مما ضاق على الفُسّاقِ والفُجّار ، وتيسيرُ الرزق عليه من حيث لا يحتسب ، وتيسيرُ ما عَسُرَ على أرباب الفسوق والمعـــاصي ،

Marfat.com

واعْـلمْ أنه كَما لا يُغني ضَوْءُ النهارِ : الأَعمَى ، كذلك لا يُضِيءُ بنور العلم إلا أهْلُ التُّقَى . وكما أنَّ الميت لا ينفعه الدواء، وتسهيلُ الطاعات عليه ، وتيسيرُ العلم ، والثناءُ الحسَنُ في الناس ، وكثرةُ الدعاء له ، والحلاوَةُ التي يكتسبها وجهُهُ ، والمهابَةُ التي تُلقَى له في قلوب الناس ، وانتصارُهم وحَمِيَّتُهم له إذا أوذِي وظُلِم ، وذَبُّهم عن عِرْضه إذا اغتابه مغتاب ، وسُرعَةُ إجابة دُعائه ، وزَوَالُ الوحشة التي بينه وبين الله ، وقُرْبُ الملائكة منه ، وبُعدُ شياطين الانس والجنّ منه ، وتَنَافُسُ الناس على خدمتِهِ وقضاءِ حوائجه ، وخِطبَتُهم لمودَّتِه وصُحبتِه ، وعدَمُ خوفِهِ من الموت بل يَفرحُ به لقدومه على رَبّه ولقائِهِ له ومصيرِهِ إليه ، وصِغَرُ الدنيا في قلبه ، وكِبَرُ الآخـــرة عنده ، وحِرصُهُ على المُلكِ الكبيرِ والفوزِ العظيم فيها ، وذَوْقُ حلاوة الطاعة ، ووِجْدُ حلاوةِ الايمان ، ودُعاء حمَلَة العرش ومَن حولَه من الملائكة ، وفَرَحُ الكاتبين به ، ودُعاؤهم له كلَّ وقت ، والزيادةُ في عَقلِه وفَهمِه وإيمانه ومعرفتِه ، وحصولُ محبَّة الله له ، وإقبالُهُ عليه ، وفَرَحُه بتوبته: لكفى باعثاً له على تركِ الذنوب والمعاصي ، وهكذا يجازيه الله بفَرَحٍ وسُرورٍ لا نسبة له إلى فَرَحِه وسُروره بالمعصيةِ بوجهٍ من الوجوه .

فهذه بعضُ آثارِ تَرْكِ المعاصي في الدنيا ، فاذا مات تلقَّتْـهُ الملائكةُ بالبُشرى من رَبّه بالجنة ، وبأنه لا خوفٌ عليه ولا حُزن ، ويَنتقِلُ من سِجْنِ الدنيا وضيقها إلى روضةٍ من رياض الجنّة يَنْعَمُ فيها إلى يوم القيامة ، فاذا كان يوم القيامة كانَ الناسُ في الحَرّ والعَرَق وهو في ظِلّ العرش ، فاذا انصرفوا من بين يدي الله : أخَذ الله به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحِزبه المفلحين ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

Marfat.com

كَذلكَ لا يُفِيدُ الأَدَبُ في أَهْلِ الدَّعوى . وكما لا يُنْبِتُ الوَابِلُ الصَّفا[1] ، كذلكَ لا تُثْمِرُ الحِكْمَةُ بِقَلبِ مُحِبِّ الدُّنيا ، وَمَنْ أَلِفَ هَواهُ قَلَّ أَدَبُهُ ، وَمَنْ خَالَفَ دَلالَةَ عِلْمِهِ كَثُرَ جَهْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ ينفعهُ دَوَاءُهُ كَيفَ يُدَاوِي غَيرَهُ ؟ !

وَاعْلَمْ أَنَّ أَرْوَحَ الناس أبداناً أَهْلُ الزُّهد في الدنيا[2] . وأتْعَبَ النَّاسِ قُلوباً وأكثَرَهُمْ شُغلاً أَهْلُ الاهتِمام بالدنيا . وأعْوَنُ الأَخْلاقِ عَلَى الزُّهدِ قِصرُ الأَمَلِ ، وأَقْرَبُ حَالات أهلِ المعرفة : ذِكْرُ القيامِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ . قالَ الله عَزَّ وجَلَّ : ﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عليكم رقيبا ﴾[3] .

وَاعْلَمْ أنه لا طَرِيق أقربُ مِنَ الصدق ، ولا دَلِيلَ أَنجحُ منَ العلم ، ولا زَادَ أبلَغُ مِنَ التَّقوى ، وَمَا رأيتُ أنقَى لِلْوسواس مِنْ تَرْكِ الفُضُولِ ، وَلا أنورَ لِلقَلْبِ مِنْ سَلامَةِ الصَّدْرِ ، ووجَدتُ كَرامَةَ المُؤْمِنِ تقواهُ ، وحِلْمَهُ صَبْرَهُ ، وعَقْلَهُ تَجَمُّلَهُ ، ومَوَدَّتَه

---

(١) الوابل : المطر الشديد ، والصفا جمع صفاة ، وهي : الحجَرُ الصَّلْدُ الضَّخْم الذي لا يُنْبت .

(٢) أي أكثرُ الناس راحةً لأبدانهم : أهل الزهد ...

(٣) الآية (١) من سورة النساء .

Marfat.com

تجَاوُزَهُ وَعَفْوَهُ ، وَشَرَفُهُ تَوَاضُعَهُ وَرِفْقَهُ .

واعْلَمْ أنَّ مَحَبَّةَ الغِنَى - مع اخْتِيارِ اللهِ لِعبدِهِ الفقر - تَسَخُّطٌ ، ومَحَبَّةَ الفقر - مع اخْتِيارِ الله لعبدِهِ الغِنَى - جَوْرٌ ، وكلُّ ذلكَ هَرَبٌ مِنَ الشُّكرِ لِقلَّةِ المعرفة ، وتَضْيِيعُ الأَوقاتِ مِنْ قِصَرِ العِلْمِ . وذلكَ أنَّ إيمانَ الغَنِيِّ لا يُصْلِحُهُ الفقرُ ، وإيمانَ الفقير لا يُصْلِحُهُ الغِنَى ، كما جاءَ في الخبر أنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُول : « إنَّ مِن عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَهُ إلا الفقرُ ، ولو أغنيتُهُ لأفسَدَهُ ذَلكَ ، وإنَّ مِن عِبَادِي مَنْ لا يُصْلِحُ إيمانَهُ إلا الغِنَى ، ولوْ أفقرتُهُ لأفسدَهُ ذَلكَ »[1] . وكذلِكَ في الصِّحَّة والسَّقَمِ . فَمَنْ

---

(١) هذا جزء من حديث قدسي ضعيف رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تبارك وتعالى قال : « مَن أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ... » . رواه أبو يعلى والبزّار والطبراني وابن أبي الدنيا في « كتاب الأولياء » : (ص١٠٠) من « مجموعة رسائل ابن أبي الدنيا » والحكيمُ الترمذي وابنُ مردويه وأبو نعيم والبيهقي في « الأسماء والصفات » : (ص١٢١) وابنُ عساكر ، كما في « فتح الباري » للحافظ ابن حجر (١١/٢٩٣) و « الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية » للعلامة محمد المدني (ص ٣٥ - ٣٦) .

قال الحافظ ابن حجر : « في سنده ضعف » وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » : (ص٣١٤) : « في سنده :

Marfat.com

عَرَفَ اللهَ لَمْ يَتَّهِمْهُ ، وَمَنْ فَهِمَ عَنِ اللهِ رضِيَ بِقَضَائِهِ . ولو لَمْ يَكُنْ لأَهلِ العِلْمِ إلا هَذِهِ الآيَةُ لَكَفَتْهُم : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةَ ﴾ (١) .

واحْذَرْ أخْلَاقَ الجَاهِلِين ، ومُجَالَسَةَ المُذْنِبِين (٢) ، ودعاوى المُعْجَبِينَ (٣) ، ورجَاءَ المُغْتَرِّينَ ، وَيَأسَ القَانِطِينَ . وكُنْ بالحقِّ عَامِلاً ، وباللهِ واثِقاً ، وبالمعروفِ آمِراً ، وعَنِ المُنْكَرِ نَاهِياً . فإنَّ مَنْ صَدَقَ اللهَ نَصَحَهُ ، ومَنْ تَزَيَّنَ لغيرِهِ فَضَحَهُ ، ومَنْ تَوَكَّل عَليهِ كَفَاهُ ، ومَنْ وَثِقَ بغيرِهِ مَقَتَهُ ، ومَنْ خَافَهُ أَمَّنَهُ ، ومَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ ، ومَنْ أَطَاعَهُ أكْرَمَهُ ، ومَنْ آثَرَهُ أَحَبَّهُ .

واحْذَرْ أنْ تدِينَ للهِ بالعقلِ (٤) ، وتَعْمَلَ بالهوى ، وتَتْرُكَ

الحسَنُ بن يحي الخُشَني عن صدقة بن عبدالله الدمشقي ، وهما ضعيفان، عن هشام الكناني عن أنس . وهشام لا يُعرف . وسُئل ابنُ مَعِينعن هشامٍ هذا مَنْ هو ؟ فقال : لا أحَد . يعني : لا يُعتَبَرُ به » .

(١) الآية (٦٨) من سورة القَصَص .

(٢) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : جالسوا التوَّابين فانهم أرقُّ أفئدة . كما في « روضة العقلاء » لابن حِبَّان (ص ١٨) .

(٣) جاء في الأصلين : (ودواعي المعجبين) . وهو تحريف .

(٤) الظاهر أن معناه : أن تقوم بطاعته تعالى وعبادته على سبيل المحاسبة والمقابلة .

Marfat.com

الحقَّ ، وتَبُوءَ بالباطلِ ، وتَتَمَنَّى المغفرةَ وأنْتَ ناسٍ للتوبة . واعلمْ أنَّهُ لا يُرضَى مِنَ العِلْمِ والعَمَلِ إلا مَا ثَبَتَ باليقينِ أصلهُ ، وعَلَا بالصدقِ فَرْعُهُ ، وأثْمَرَ بالوَرَعِ نَبَاتُهُ ، وقامَ بالإشفاقِ بُرهَانُهُ ، وَحُجِبَ بالخشية أستَارُهُ ، فَلا تَرْضَ مِنْ نفسِكَ بالتَّوانِي ، فإنَّهُ لا عُذْرَ لأَحَدٍ في التفريطِ ، ولا لأَحَدٍ عَنِ اللهِ غِنَى .

واعْلمْ أنَّ مِنْ سَعادةِ المَرْءِ : حُسْنَ النيةِ فِيمَا عِند اللهِ تَعَالَى [1] ، والتوفيقَ لِمَحَابِّهِ . ومَنْ أرَادَ اللهُ بِهِ خَيراً وَهَبَ لَهُ العقل ، وحبَّبَ إِليهِ العِلمَ ، وحَبَاهُ بالإشفاقِ ، واستعْمَلَهُ بالرِّفقِ ، وأغْنَاهُ بالقَناعةِ ، وبَصَّرَهُ عَيبَهُ .

واعْلمْ - رحمك اللهُ - أنَّ الصدق والإخلاص : أصلُ كلِّ حَالٍ ، فمن الصّدقِ يَتَشَعَّبُ الصَّبرُ والقَنَاعَةُ والزُّهدُ والرضَى والأُنْسُ. وعنِ الإخلاص يَتَشَعَّبُ اليقينُ والخوفُ والمحَبَّةُ والإجلَالُ والحياءُ والتعظِيمُ .

ولكلِّ مؤمنٍ في هَذِهِ المقاماتِ مَوْطِنٌ يُعْرَفُ بِهِ حَالُهُ ، فيقالُ له خَائِفٌ ، وفيهِ الرجاء ؛ وراجٍ ، وفيهِ الخوف ؛ وصَابِرٌ ،

---

(١) سبق تعليقاً في (ص٣٥) ما يرتبط بهذا المعنى فانظره .

Marfat.com

وفيهِ الرِّضى ؛ ومُحِبٌّ ، وفِيهِ الحَيَاءُ . وقوَّةُ كلِّ حَالٍ وضعفُهُ : بِحَسَبِ إِيمانِ العبدِ ومعرفتِهِ .

ولكلِّ أصلٍ مِنْ هَذِهِ الأَحوال ثَلاثُ عَلامَاتٍ يُعرَفُ بِها الحالُ :

فالصِّدْقُ في ثَلاثة أشياءَ لا تَتمُّ إِلَّا بهِ : صِدقُ القلبِ بالإِيمانِ تحقيقاً ، وصِدقُ النيَّةِ في الأَعْمَالِ ، وصِدقُ اللفظِ في الكلامِ .

والصَّبرُ في ثَلاثَة أشياءَ لا تَتمُّ إِلَّا بهِ : الصَّبرُ عَنْ مَحَارمِ الله ، والصَّبْرُ عَلَى اتِّبَاعِ أَمْرِ الله ، والصَّبْرُ عِنْدَ المَصائِبِ احتِسَاباً لله .

والقناعةُ في ثَلاثة أشياءَ : قِلَّةُ الغِذَاء بعدَ وجودِهِ ، وَصِيَانَةُ الفقرِ عندَ العَدَمِ وقِلَّةِ الأَسبَابِ [1] ، والسُّكُونُ إِلى أَوْقَاتِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ مع حُلُولِ الفاقَة .

وللقَنَاعَةِ أَوَّلٌ وآخِرٌ ، فَأَوَّلُهَا : تَرْكُ الفُضُولِ مع وُجُودِ الاتِّسَاع ، وآخِرُهَا وُجُودُ الغِنَى مع فَقْدِ الأَسبَابِ ، ومِنْ هَهُنَا

(١) أي إبداءُ الغِنَى والرضى عند الفِقْدان .

Marfat.com

قَالَ بعضهُمْ : القَنَاعَةُ أعْلَىٰ مِنَ الرِّضَىٰ . وإِنَّما أرَادَ قَنَاعَةَ التَّمَام، لأنَّ الرَّاضِي لا يَتَعَرَّضُ في المَنْعِ والعَطاءِ ، والقانِعَ غَنِيٌّ بِرَبِّهِ، لا يُحِبُّ الزِّيادَةَ معهُ مِنْ حَظٍّ هُوَ لَهُ إلا مِنْهُ لَهُ .

والزُّهْدُ في ثَلاثَةِ أشيَاءَ - لا يُسَمَّى زاهِداً إلا بِهَا - : خَلْعُ الأيدِي مِنَ الأمْلاكِ ، وَنَزَاهَةُ النَّفْسِ عَنِ الحَلالِ ، والسَّهْوُ عَنِ الدُّنْيا بِكَثْرَةِ الأوْقَاتِ .

ويكون الرَّجُلُ مُتَزَهِّداً بِثَلاثَةٍ أُخَر : حِمْيَةُ النَّفْسِ عِنْدَ تَرامِي الإِرادات ، والهَرَبُ مِنْ مَوَاطِنِ الغِنَى ، وأَخْذُ المَعْلُومِ عند الحاجة .

والأنْسُ في ثَلاثةِ أشياء : أُنْسٌ بالعِلمِ والذكرِ في الخلوةِ ، وأُنْسٌ باليقينِ والمعرفةِ مع الخلوةِ ، وأُنْسٌ باللهِ عَزَّ وجلَّ في كلِّ حَالٍ .

والرِّضَى : نِظَامُ المحبَّةِ . ونَفْسُ التوكُّلِ : رُوحُ اليقين . وقَد ذُكِرَ عنْ أيوب السَّخْتِيانِيّ وَالفُضَيْلِ بن عِيَاض رحْمَةُ اللهِ عليهما أنَّهُمَا كَانَا يَقُولان : الرِّضَى : التوكل .

فَهذِهِ شُعَبُ الصِّدْقِ المَأْخُوذَةُ بأوصافِ العِلمِ . وكَانَ سُفْيانُ الثوري رَحِمَهُ اللهُ يقول: إذا كَمَلَ صِدْقُ الصَّادِقِ لَمْ يَمْلِكْ مَا في يَدَيْهِ .

Marfat.com

وأما شُعَبُ الاخلاصِ فلا يُسَمَّى المُخْلِصُ مُخْلِصاً حَتَّى يُفْرِدَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ مِنَ الأَشْبَاهِ والأَنْدَادِ ، والصاحِبَةِ والأَولادِ (١) ،

---

(١) إليك هاتين الواقعتين تَشْهَدُ فيهما حقيقةَ الاخلاص ، وتزدادُ بهما خيراً وفهماً لافراد الله تعالى بالعمل والعبادة :

١ ـ قال الامام ابنُ جرير الطبري في تاريخه : « تاريخ الأمم والملوك » في حوادث سنة ١٦ من الهجرة (١٧٦/٤) : « لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض ـ الغنائم ـ أقبَلَ رجلٌ بحُقّ معه ـ وعاءٌ كبير مملوء من الجواهر والتُّحَف ـ فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والذي معه : ما رأينا مثلَ هذا قط ! ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذتَ منه شيئاً ؟ فقال : أما واللهِ لولا اللهُ ما أتيتكم به ، فعرفوا أنّ للرجل شأناً فقالوا : من أنتَ ؟ فقال : لاواللهِ لا أخبركم لتَحمدوني ، ولا غيرَكم ليُقرّظوني ، ولكني أحمَدُ الله وأرضى بثوابه .

فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه فسأل عنه ؟ فاذا هو عامرُ بن عَبْد قيس » .

٢ ـ وقال ابنُ قتيبة في كتابه : « عيون الأخبار » : (١٧٢/١) : « حاصَرَ مَسْلَمَةُ بن عبدالملك حِصْنا ، وكان في ذلك الحِصن نَقْب ـ أي ثقب في الحائط ـ فنَدَب الناسَ إلى دخوله ، فما دخله أحد ! فجاء رجل من عُرْض الجيش ـ أي من عامّته غير معروف ـ فدخَلَه ففَتَح الله عليهم الحِصْن ، فنادى مَسْلَمَةُ : أين صاحِبُ النَّقْب ؟ فما جاءه أحد ، فنادى : إني قد أمَرتُ الآذِنَ بادخاله ساعةَ يأتي ، فعزَمْتُ عليه إلا جاء .

=

Marfat.com

ثمَّ إِرَادَتُهُ اللهُ بإِقَامَةِ التوحيدِ ، وجَمْعُ الهَمِّ لَهُ وبهِ في النَّفْلِ والفَرْضِ .

وصِحَّةُ اليقينِ في ثلاثة أشياء : سكونُ القَلبِ إلى الثقةِ باللهِ ، والانقيادُ لأَمْرِ اللهِ ، والإِشفاقُ والوَجَلُ مِنْ سَابِقِ العِلْمِ .

ولليقين أوَّلٌ وآخِرٌ ، فأوَّلُهُ : الطُّمَأْنِينَةُ ، وآخِرُهُ : إفرادُ اللهِ بالكفاية . لقولِهِ جَلَّ وعَزَّ : ﴿ يا أيُّها النبيُّ حَسْبُكَ اللهُ ومَنْ اتَّبعَكَ مِنَ المُؤمِنينَ ﴾[1] ، والحَسْبُ هُوَ : الكافي ، والمُكْتفي هُوَ : العَبْدُ الرَّاضي بما قَضَى . وإنَّما قلنا : آخرُ اليقين مِنْ وجُودِ أوصافِ العبدِ في مقام الإيمان لا في آخِرِ اليقين مِنَ العِلْمِ ، ولَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ أحدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، كَمَا قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :

= فجاء رجل إلى الآذن فقال : استأذِنْ لي على الأمير، فقال له : أنت صاحبُ النَّقْب ؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى الآذِنُ إلى مَسْلَمَة فأخبره عنه ، فأذِنَ له ، فقال الرجل لِمَسْلَمَة : إنَّ صاحب النَّقْب يأْخذُ عليكم ثلاثاً : ألا تُسوِّدوا ـ أي ألا تكتبوا ـ اسمَهُ في صحيفةٍ إلى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو ؟ ـ أي من أي قبيلةٍ هو ـ قال مَسْلَمَةُ : فذاك له . قال الرجل : أنا هو .

فكان مَسْلَمَةُ بعد هذه الحادثه لا يُصلّي صلاةً إلا قال : اللَّهمّ اجعلني مع صاحبِ النَّقْب » .

(١) : الآية (٦٤) من سورة الأنفال .

Marfat.com

« لَنْ يَبلُغَ أحدٌ مِنَ اللهِ كُنْهاً » . قَالوا : يا رسول اللهِ إِنَّا بَاغَنَا أنَّ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ عَليهِ السَّلَام كَانَ يَمشِي عَلَى المَاءِ ؟ قَالَ : « لَو ازدادَ يَقيناً وخَوفاً لَمشَى في الهَوَاءِ » [1] . ولا يكونُ الخوفُ إلا بعد اليقين ، وَهَلْ رأَيتَ خَائِفاً لِمَا لَمْ يَستَيقِنْهُ ؟.

والخوفُ في ثلاثةِ أشياء : خَوْفُ الإِيمان ، وعلامَتُهُ مُفارَقَةُ المعاصِي والذنوب ، وهو خَوفُ المُرِيدين . وخَوْفُ السَّلَف ،

---

(١) : هذا حديث موضوع ، وإسناده إلى رسول الله ﷺ باطل . وقد وَقعَ ذكره كذلك في « الاحياء » : (٩٤/١٠٢) ! وقال الحافظ العراقي في « تخريجه » : « المعروفُ أنه مِن قولِ بكر بن عبدالله المزني ، رواه ابنُ أبي الدنيا في « كتاب اليقين » قال : فَقَدَ الحواريُّون نَبِيَّهم ، فقيل لهم : توجَّه نحو البحر ، فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء ، فذكر حديثاً فيه أنَّ عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين قدرَ شعرةٍ مَشىَ على الماء » . انتهى .

ورواه الامام أحمد في « كتاب الزهد » : (ص ٥٦ ـ ٥٧) قال : « حدثنا بهز ، حدثنا أبو هلال ، حدثنا بكر بن عبدالله قال : فَقَد الحواريون نبيهم عليه السلام فخرجوا يطلبونه فوجدوه يمشي على الماء ، فقال بعضهم : يانَبِيَّ الله أغشي إليك ؟ قال : نعم . قال : فوضع رجله ثم ذهب يضع الأخرى فانغمس ! فقال : هاتِ يدك ياقصيرَ الايمان ، لو أن لابن آدم مثقال حبة أو ذرة من اليقين إذاً لمشى على الماء . » انتهى .

قلتُ : وهذا من الأخبار الاسرائيلية التي لم نؤمر بتصديقها ولا بتكذيبها وتجوزُ حكايتُها للعبرة والموعظة بها .

Marfat.com

وعلَامَتُهُ الخشيةُ والإِشفاقُ والوَرَعُ، وهو خَوْفُ العلماء . وخَوْفُ القُوت ، وعلَامَتُهُ بَذْلُ الجهد في طَلَبِ مَرْضَاةِ اللهِ بوجود الهيبة والإِجلالِ للهِ عَزَّ وجلَّ ، وهو خَوْفُ الصِّدِّيقين . ومقامٌ رابعٌ في الخوفِ خَصَّ اللهُ بهِ الملائكةَ والأَنبياءَ عليهم السلام، وهو خَوْفُ الإِعْظَامِ ، لأَنَّهمْ آمِنُونَ في أنفسِهِمْ بأَمَانِ اللهِ لهمْ ، فَخَوفُهمْ تَعَبُّدُهمْ للهِ إِجلالاً وإِعْظَاماً

والمحبَّةُ في ثلاثةِ أشياء - لا يُسَمَّى مُحِبًّا للهِ عَزَّ وجلَّ إِلا بها - مَحَبَّةُ المؤمنين في اللهِ عَزَّ وجلَّ ، وعلامَةُ ذلكَ : كَفُّ الأَذَى عَنْهُمْ وجَلْبُ المَنْفَعَةِ إِلَيهِمْ . وَمَحَبَّةُ الرسولِ ﷺ للهِ عَزَّ وجَلَّ [1] ، وعَلَامَةُ ذلكَ اتِّباعُ سُنَّتِه ، قالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ قُلْ إِنْ كنتمْ تُحِبُّونَ اللهَ فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾ [2] . وَمَحَبَّةُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ في إِيثَارِ الطاعةِ عَلَى المَعْصِيَةِ ، وَيُقَالُ : ذِكْرُ النِّعْمَةِ يُورِثُ المَحَبَّة .

وَللمَحَبَّةِ أَوَّلٌ وآخِرٌ ، فأَوَّلُهَا : مَحَبَّةُ اللهِ بالأَيَادِي وَالمِنَنِ [3] ،

---

(١) أي أن تحبَّ الرسولَ ﷺ لأمر الله بمحبّته .
(٢) الآية (٣١) من سورة آل عمران .
(٣) الأيادي : النِّعَم .

Marfat.com

قالَ ابنُ مسعُود رضِي اللّٰه عنهُ: جُبِلَتِ القُلوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أحْسَنَ إليها . وأعْلاهَا المَحَبَّةُ لوجُوبِ حقِّ اللّٰهِ عَزَّ وجلَّ ، قالَ علي بنُ الفُضَيل رحمةُ اللّٰهِ عليهِ : إنَّما يُحَبُّ اللّٰهُ عَزَّ وجلَّ لأنَّه هُوَ اللّٰه . وقالَ رجُلٌ لطَاووس: أوصِنِي . قالَ : أُوصِيكَ أنْ تُحِبَّ اللّٰهَ حُبًّا حَتَّى لا يكون شَيءٌ أحَبَّ إليكَ مِنْهُ، وخَفْهُ خَوفاً حَتّى لا يكونَ شَيءٌ أخْوفَ إليكَ مِنْهُ، وارْجُ اللّٰهَ رجَاءً يَحُولُ بينَكَ وبَينَ ذَلكَ الخوفِ، وارْضَ للنّاسِ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ، ثُمْ فَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ التوراةَ والإنْجِيلَ والزَّبُورَ والفُرْقَانَ .

والاجلالُ والتعظِيمُ مِنَ الحياءِ بِمَنزِلَةِ الرأس مِنَ الجَسَدِ ، الذي لا غِنَى لأَحَدِهِمَا عَنْ صَاحِبِهِ ، وإذَا استَحْيَا العَبدُ مِنْ رَبِّهِ أجَلَّهُ . وأفضلُ الحَيَاءِ المراقبةُ للّٰهِ عَزَّ وجلَّ .

والمُرَاقَبَةُ في ثلاثةِ أشياء : مُرَاقَبةُ اللّٰه في طَاعتِهِ بالعملِ ، ومُرَاقَبَةُ اللّٰهِ في مَعْصِيتِهِ بالتَّركِ، ومُراقبَةُ اللّٰه في الهَمِّ والخواطِرِ ، لِقَولِ النبي ﷺ : « اعبُدِ اللّٰه كأنَّكَ تَرَاهُ ، فإنْ لَمْ تكُنْ تَرَاهُ فإنهُ يَرَاكَ »[1] .

(١) سبق تخريجه تعليقاً في (ص ٦٠) .

Marfat.com

ومُراقبَةُ القلب للّٰهِ عَزّ وجلَّ أشَدُّ تَعبًا عَلَى البدن مِنْ مُكابَدَةِ قِيامِ الليلِ وصِيامِ النهارِ وإنفاقِ المَالِ في سَبِيلِ اللّٰهِ .

وقد ذُكِرَ عَنْ عَلِي بن أبي طَالب رضي اللّٰهُ عَنْهُ أنه كَانَ يَقُولُ: إنَّ للّٰهِ في أرْضِهِ آنِيَةً ، وإنَّ مِنْ آنِيَتِهِ فيها القُلُوب ، فَلا يَقْبَلُ مِنْهَا إلاَّ مَا صُفِّيَ وَصُلُبَ وَرَقَّ .

ومَعْنَى ذَلِكَ: أنْ يُصَفِّيَ[1] القَلْبَ للّٰهِ عَزَّ وجَلَّ بِاتّباع أمْرِهِ وَنَهْيِهِ ومُشَاهَدةِ الصِّدْقِ والإشْفَاقِ ، وَصَفَّاهُ لِرَسُولِ اللّٰه ﷺ بقبولِ مَا أتَى بِهِ قولاً وعَمَلاً ونِيَّةً . وَصَفَّاهُ لِلْمُؤمنين بكَفِّ الأذَى وَإيصَالِ النفعِ .

وأمَّا مَعْنَى قَولِهِ : « وصُلُبَ » فَمَعْنَاهُ : قَوِيَ في إقَامَةِ الحدودِ لِلّٰهِ تَعَالَى ، والأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنهْيِ عَنِ المُنْكَرِ .

وقَوْلِهِ : « وَرَقَّ » فالرِّقَّةُ عَلَى وجْهَين : رِقَّةٌ بِالْبكاءِ ، ورِقَّةٌ بِالرَّأفَةِ . وبِاللّٰهِ التوفِيق ، وهو حَسْبُنَا ونِعْمَ الوَكِيلُ[2] .

---

(١) أي العبدُ .

(٢) جاء في خاتمة النسختين : « تمَّت رسالة المسترشدين بحمد الله وعونه وحسن توفيقه » . وجاء بعد هذا صلاة على النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعلى آله وأصحابه بعبارات متغايرة . وهي لاشك من عمل النساخ . وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Marfat.com

المحتوى

١ ـ الأحاديث (١)

إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالو : وما رياض الجنة ...ت ٤٢
استفت قلبك وإن أفتاك المفتون . ٥٠
اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك . ٦٠
أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك . ٤٧
ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد ... ٦٣
أمَرنا رسولُ الله أن ننزل الناس منازلهم . ت ٥١
أنذركم فضول الكلام ، حسبُ أحدكم مايبلغ به . . . ٦٨
إن الله عند لسان كل قائل ، فاتقى الله امرؤ . . . ٦٨
إن الله يُنزل العبدَ من نفسه بقدر منزلته منه . ٥١
إن الحق يأتي وعليه نور ، فعليكم بسرائر القلوب . ٦٦
إن لله ملائكة يطوفون في الأرض ، فاذا صعدوا . . . ت ٦١
إن من عبادي من لا يُصلح إيمانَه إلا الفقر . . . ٨٦
إن من المؤمنين من يلين له قلبي . ٦٦
إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى . ٣٥
تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي . ت ٣٢
تعلموا اليقين فاني أتعلمه . ٥٥
تفرغوا من هموم الدنيا مااستطعتم ، فانه من كانت . . . ٤٦
جلساء الله يوم القيامة : الخاضعون المتواضعون . . . ٤٢
الحلال بيّن والحرام بيّن و بين ذلك أمورمشتبهات. ٣٢

(١) حرف التاء يشير إلى أن ماذكر قبله وارد في التعليقات .

Marfat.com

الخير بين يديك ، والشر ليس إليك . ت	٨٠
دع ما يريبك إلى ير يبك	٥٢
الدين النصيحة	٤٣
الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .	٣٨
طلب العلم فريضة على كل مسلم . ت	٤٣
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ...	٣٠
فمن رغب عن سنتي فليس مني . ت	٣٢
قل آمنت بالله ثم استقم .	٧٥
لك النظرة الأولى ، وليست لك الآخرة .	٧٠
المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ، والمؤمن . . .	٣٥
من ذكّركم بالله رؤيتُه (لمن سأله : أي جلسائنا خير ؟)	٤١
من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه . . .	٦٧
من عمل بما علم ورّثه الله علم مالم يعلم .	٥٧
من وعظ ولم يتعظ ، وزجر ولم ينزجر . . .	٤١
النظر سهم من سهام إبليس ، فمن تركه . . .	٦٩
وهل يَكبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم ؟	٦٧
يا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا ، وتقربوا . . .	٦٤

(١) حرف التاء يشير إلى أن ماذكر قبله وارد في التعليقات .

Marfat.com

٢ ـ المصادر التي عُزِي إليها في التعليقات

الأربعون النووية للامام النووي	ط الفتح المبين الآتي
الأسماء والصفات للبيهقي	ط مطبعة السعادة ١٣٥٨
الأولياء لابن أبي الدنيا	ط جمعية النشر والتأليف الأزهرية ١٣٥٤
الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية لمحمد المدني	ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥٨
إحياء علوم الدين للامام الغزالي	ط لجنة نشر الثقافة الاسلامية ١٣٥٦
إرشاد الساري للقسطلاني	ط البولاقية الخامسة ١٢٩٣
تاريخ الأمم والملوك للطبري	ط المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٦
تخريج أحاديث الاحياء للعراقي	ط الاحياء السابق الذكر
تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر	ط الشيخ النمنكاني ١٣٨٠
تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي	ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٤
تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر	ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥
التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي	ط بولاق ١٢٨٦
جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب الحنبلي	ط مصطفى البابي الحلبي الثانية ١٣٦٩
الحلية لأبي نعيم الأصفهاني	ط مطبعة السعادة ١٣٥١
الرسائل الصغرى لابن عباد النفزي الرندي	ط المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٥٧م
روضة العقلاء للحافظ ابن حبان	ط الخانجي الأولى ١٣٢٨
الزهد للامام أحمد بن حنبل	ط مطبعة أم القرى بمكة ١٣٥٧
سنن النسائي	ط المطبعة المصرية ١٣٤٨
سنن أبي داود	ط مصطفى محمد ١٣٥٤
سنن الترمذي	ط المطبعة المصرية بشرح ابن العربي ١٣٥٠
سنن ابن ماجه	ط المطبعة العلمية ١٣١٣
شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي	ط مكتبة القدسي ١٣٥٠

Marfat.com

شرح الاحياء للمرتضى الزبيدي ط الميمنية ١٣١١
شرح حديث العلم للحافظ ابن رجب الحنبلي ط المطبعة السلفية بمكة ١٣٤٧
شرح النووي على صحيح مسلم ط المطبعة المصرية ١٣٤٧
صحيح الامام البخاري ط فتح الباري الآتي
صحيح الامام مسلم ط المطبعة المصرية السابقة ١٣٤٧
طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ط الحسينية ١٣٢٤
العقل وفضله لابن أبي الدنيا ط عزت العطار ١٣٦٥
عيون الأخبار لابن قتيبة ط دار الكتب المصرية ١٣٤٣
فتح الباري للحافظ ابن حجر ط بولاق ١٣٠٠
الفتح المبين بشرح الاربعين لابن حجر المكي ط الميمنية ١٣١٧
الفوائد لابن قيم الجوزية ط المطبعة المنيرية ١٣٤٤
فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ط مصطفى محمد ١٣٥٦
كشف الخفاء ومزيل الالباس للعجلوني ط مكتبة القدسي ١٣٥١
كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني ط الكاستلية ١٢٨١
المستدرك على الصحيحين للحاكم ط حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٤
المسند للامام أحمد بن حنبل ط الميمنية ١٣١٣
المسند للدارمي ط المطبع النظامي في كانفور بالهند ١٢٩٣
الميزان للحافظ الذهبي ط السعادة ١٣٢٥
النهاية لابن الأثير ط المطبعة العثمانية ١٣١١

Marfat.com

٣ ـ الأبحاث [١]

الصفحة

بيان أن الاهتداء إلى الله تعالى لا يتوقّف على التزام (شيخ وبيعة)
وإنما يتوقف على التزام العلم والعمل . ت ٣١
بيان أن القرآن والحديث كلٌ منهما هادٍ بنفسه لمن تدبره وعمل به . ت ٣١
تخطئة من زعم أن القرآن والحديث لا ينتفع المرء بهما مالم يكن له شيخ يطبه . ٣٢
بيان أن الانهماك في المباح يؤدي إلى الوقوع في المكروه ، وأن كثرة الوقوع في
المكروه تؤدي إلى الوقوع في الحرام . ت ٣٣
شرح الحافظ ابن حجر لحديث : « اجعلوا بينكم وبين الحرام سُترةً من
الحلال » شرحاً نفيساً ينبغي الوقوفُ عليه للعالم وغيره . ت ٣٣
قول العلامة القسطلاني في لزوم التيقن من حِلّ مايفعله المرء وبيان أعلى الورع . ت ٣٤
استفتاء أخت بِشرٍ الحافي للامام أحمد أن تغزل على ضوء الحارس وجوابه لها . ت ٣٤
تورُّع السيدة بديعة الايجية وتورُّع أبيها ، وأثر الورع . ت ٣٤
مِن أكبر نعم الله على العبد المسلم أنه يُجازَى بنيته . ت ٣٥
ذكر نماذج من فحص السلف للنية وتخليصها من الشوائب . ت ٣٥
كلام نفيس جداً لابن قيّم الجوزية في الخطرة والفكرة ومراحلها في النفس
حتى تكون فعلاً وعادةً مع بيان علاجها ، فقف عليه لزاماً . ت ٣٦
بيان الشيخ ابن عربي عادة الشيوخ في محاسبتهم لأنفسهم كل ليلة قبل النوم . ت ٣٨
قول ابن القيم : من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره ... ت ٤٠
تفسير ابن مسعود وأنس لمعنى « حِلَق الذكر » الواردة في الحديث . ت ٤٢
بيان عطاء الخراساني أيُّ المجالس هي مجالسُ الذكر . ت ٤٢
بيان الحافظ ابن رجب مجالس الذكر أيضا وأنها لاتختص بالتسبيح ونحوه بل

---

(١) اقتصرنا في هذا المحتوى على أهم ما يمكن عنونته من مقاطع الكتاب ، إذ أن كلام الامام المحاسبي يحتوي في كثير من مقاطعه على جمل كثيرة ، كل جملة منها تكاد تكون موضوعا مستقلاً برأسه ، فلو عنونت اقتضى ذلك إعادة أكثر نصوص الكتاب . وحرف التاء : ت في آخر الجملة يشير إلى أن ماذكر قبلها وارد في التعليقات .

Marfat.com

الصفحة

تشمله وتشمل الذكر الذى هو بيان الحلال والحرام وتفضيلُ هذا الذكر
على الذكر باللسان . ت ٤٢
كلمة مالك بن دينار في تعارُكِ الصدق والكذب في القلب ، وكيف ينمو
الصدق في القلب ، وبيان تأثير كلام الصادقين في غيرهم . ت ٤٤
ثناء على كتاب التوهم للمحاسبي وبيان موضوع الكتاب ت . ٤٥
كلام الشيخ الشعراني أنَّ كل طريق لم يمش فيها الرسول ﷺ فهي ظلام، وتقريعه
للمتصوفة الذين لا يطالعون كتب الفقه أو يمنعون من مطالعتها بدعوى أنها حجاب ! ت ٤٨
ثناء السَّري السقطي على المحاسبي ودعاؤه للجنيد بالعلم ثم بالتصوف . ت ٤٨
نقد الحافظ ابن رجب لمن يدَّعي العلم الباطن ويذمُّ العلم الذي هو الحلال والحرام
ويقول عن أهله : محجوبون وأصحاب قشور ! ت ٤٩
بيانه لحال هؤلاء المدَّعين ولحكم الشرع فيهم ! ت ٤٩
نقد الحافظ ابن رجب لمن يزعم أن علم الباطن لا يُتلقى من الكتاب والسنة وأنَّ
الشريعة لم تأت بما يوجب صلاحَ القلوب وقُربَها من علام الغيوب ، مع بيان حكم
الشرع في هؤلاء المدَّعين . ت ٤٩
الاستفتاء من القلب لمن يكون ؟ ومتى يكون ؟ وكلامٌ نفيس في ذلك للأئمة :
الغزالي والمناوي وابن رجب وابن حجر الهيتمي . ت ٥٠
علامة العقل النافع والعلم النافع . ٥٥
أفضل زينة الانسان العقل ، وأجمل لباس له العلم . ت ٥٦
كلام نفيس للحسن البصري في موقع العلم وأثره في الانسان . ت ٥٦
بحث لطيف في تفضيل العقل على العلم أو العكس وشعرٌ لبعضهم في ذلك . ت ٥٦
استعداد العاقل لما ينجيه وبيان ماينبغي أن يكون شعاره . ٦٠
ذكر الحديث الوارد في أثر صحبة الصالحين ونفعها لمن جالسهم ولو عابر سبيل . ت ٦١
ذكرُ أبيات لطيفة في اكتساب الشرف من الصاحب . ت ٦١
كلُّ بلاء يدخل على القلب فمنشأه من الفضول . ٦٢

Marfat.com

الصفحة

فسادُ القلب ناشىء من فساد الدين ، وعلاجه . ٦٣
قول الشيخ ابن رسلان في وزنِ الخواطر بميزان الشرع وكذلك الجنيد . ت ٦٣
المواطن التي يظهر فيها الفضول ، وآثاره في تلك المواطن . ٦٤
بيان شروط صحة التوبة . وهي أربعة أحدها حفظ الجوارح السبع . ٦٥
الحواس السبع التي يجب حفظها : السمع والبصر واللسان والشمّ واليدان والرجلان والفرج وهو أميرها . ٦٥
فرضُ القلب ، وبيان منافذ الخطر إليه . ٦٥
فرضُ اللسان ، وبيان أن مأتاه من الفضول . ٦٧
فرضُ البصر ، وعقابُ إطلاقه وثوابُ حفظه . ٦٧
فرضُ السمع ، وبيان مايجب حفظُ السمع منه . ٧٠
فرضُ الشمّ ، وموضعُ حلّه أو منعه . ٧١
فرضُ اليدين والرجلين ، وموضع بسطها أو قبضها . ٧٢
رسالة ابنة سليمان إلى عبدة بنت خالد بن مَعْدان . ٧٢
رسم الطريق الموصل إلي حفظ الجوارح السبع . ٧٢
ذكر ثلاث وقائع لعمر بن عبدالعزيز والمنذري والسبكي تعرفك بمعنى قول المؤلف :التيقظ بالمحاسبة ، فقف عليها . ت ٧٢
بيان أنجى طريق للعبد من سخط الله وعذاب الآخرة . ٧٥
بيان الحافظ ابن حجر لمعنى المداراة والمداهنة والفرقِ بينهما وحكمِهما . ت ٧٨
طلبُ تنزيه ذكر الله تعالى عن إضافة المكاره إليه سبحانه . ت ٧٩
لزوم حفظ الأوقات وَشَغْلها بالخير والنافع من العلم والعمل . ٨٠
ذكر آثار الذنوب وما تورثه من مساوىء وعقوبات . ٨٢
كلام نفيس للغاية للشيخ ابن القيم في بيان آثار الذنوب وأضرارها وبيان فوائد تركها والتنزّه عنها، فقف عليه لزاماً فانه من نفائس العلم المكنون . ت ٨٢
ذكرُ الذين لا يستفيدون من ألوان الخير لمرض قلوبهم . ٨٤

Marfat.com

الصفحة

فضل الزهد في الدنيا وما يُعين عليه . ٨٥
أصالة الصدق والاخلاص في صلاح كل حال ، ويتشعب منهما : الصبر والقناعة والزهد والرضى والأنس . ٨٨
قوام الصدق في ثلاثة أشياء وقوام الصبر وقوام القناعة كذلك . ٨٩
للقناعه أول وآخر . ٨٩
قوام الزهد في ثلاثة أشياء وقوام الأنس كذلك . ٩٠
قوام الاخلاص في ثلاثة أشياء . ٩١
ذكر واقعتين لعامر بن عبد قيس ولصاحب النَّقْب يُعرّفانك معنى إفراد الله بالعبادة والعمل . ت ٩١
قيام اليقين في ثلاثة أشياء ، وبيان أوّل اليقين وآخره ٩٢
قيام الخوف في ثلاثة أشياء . ٩٣
قيام المحبة في ثلاثة أشياء ، بيان أوّل المحبّة وآخرها . ٩٤
ذكر وصية طاووس لرجل استوصاه ، وهي وصية جامعة موجزة . ٩٥
قيام المراقبة في ثلاثة أشياء . ٩٥
قول سيدنا علي : إنّ لله في أرضه آنية وإنّ من آنيته فيها القلب ، وبيان القلب المقبول . ٩٦

تصويبات

الصفحة	السطر				
٢٣	س ١ بالقَدَر		٥٧	س ٦ الرحمنُ بي عُرِفا	
٢٤	س ٢ من أسفل : سنة ١٣٥٧ =		٦٠	س ٥ (٢)	
٣٣	س ٢ لايَدري		٦١	س ١٢ « إنّ لله	
٤٠	س ٤ من أسفل : لن تَجِدَ		٦٩	س ٧ من أسفل : ضعيفاً	
٤٥	س ١٠ سنة ١٣٥٧		٨٠	س ١ واعرف ما	
٤٧	س ٥ قال الحسَنُ		٩١	س ٢ من أسفل: الآذِنَ	
٥٢	س ٢ من أسفل : (٢)				

Marfat.com

Marfat.com

للإمام عبد الحي اللكنوي:

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل

...مع فريد في موضوعه ، يحتاجه العالم والباحث والفقيه والمحدث
...ورع لما حوى من قواعد علم الجرح والتعديل وموازينه
...وهو أول كتاب تفرّد بتدوين أصول هذا العلم وسدّ فراغاً لم
...أحد قبل اللكنوي ، حققه وعلق عليه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة

الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة

...هو كتاب نادر في عنوانه ، أجاب به الامام اللكنوي عن حكم الاسناد
...الضعيف ، وحال الكتب المسندة وما يحتج به منها ، ودفع
...المعاندين ، ومباحث النسخ والجمع والترجيح مع تجلية دقيقة
...في علوم الحديث. حققه وعلق عليه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة

وسيصدر قريباً كتاب

إقامة الحجة على أن الاكثار في التعبد ليس ببدعة

...كتاب أصيل في بابه ، استوعب فيه الامام اللكنوي أقسام البدعة
...وذكر فيه أعمال المتعبدين من الصحابة والتابعين وغيرهم ،
...الأحاديث الناهية عن التشدد في العبادة ووفق بينها وبين عمل
...أحسن توفيق . حققه وعلق عليه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة

تباع في مكتب المطبوعات الاسلامية ومكتبة عجان الحديد ومكتبة الشرق بحلب
ومكتبة الغزالي والمكتبة العربية بدمشق ومكتبة المثنى ببغداد وغيرها من المكتبات

حلب : مطبعة مكتبة الشرق

Marfat.com

للإمام عبد الحي اللكنوي:

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل

...مع فريد في موضوعه ، يحتاجه العالم والباحث والفقيه والمحدث
...ورع لما حوى من قواعد علم الجرح والتعديل وموازينه
...وهو أول كتاب تفرّد بتدوين أصول هذا العلم وسدّ فراغاً لم
...أحد قبل اللكنوي ، حققه وعلق عليه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة

الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة

...هو كتاب نادر في عنوانه ، أجاب به الامام اللكنوي عن حكم الاسناد
...الضعيف ، وحال الكتب المسندة وما يحتج به منها ، ودفع
...المعاندين ، ومباحث النسخ والجمع والترجيح مع تجلية دقيقة
...في علوم الحديث. حققه وعلق عليه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة

وسيصدر قريباً كتاب

إقامة الحجة على أن الاكثار في التعبد ليس ببدعة

...كتاب أصيل في بابه ، استوعب فيه الامام اللكنوي أقسام البدعة
...وذكر فيه أعمال المتعبدين من الصحابة والتابعين وغيرهم ،
...الأحاديث الناهية عن التشدد في العبادة ووفق بينها وبين عمل
...أحسن توفيق . حققه وعلق عليه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة

تباع في مكتب المطبوعات الاسلامية ومكتبة عجان الحديد ومكتبة الشرق بحلب
ومكتبة الغزالي والمكتبة العربية بدمشق ومكتبة المثنى ببغداد وغيرها من المكتبات

حلب : مطبعة مكتبة الشرق

Marfat.com

الرعاية لحقوق الله

للحارث المحاسبي

أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري

توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ

رحمه الله تعالى

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

عبد الفتاح أبو غدة

يطبع لأول مرة عن نسختين مخطوطتين

الناشر

مكتب المطبوعات الإسلامية

القاهرة - جمعية التعليم الشرعي ☎ ٢١٥٦٦

614

Marfat.com